

الإسلام مناقضه ومعارضه بقلم

عبد الباقي سرور نعيم
ابن طه الأزهري الشريف

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

سنة ١٣٤٢

مطبعة مريضة (العباد) مصر

سولي عبد الكريم مدرس جامعة الزيتونة

الاسلام ماضية وحاضرة

بقلم

عبد الباقي سرور نعيم
من علماء الازهر الشريف



حقوق "طبع محفوظ المؤلف

سنة ١٣٤٣

مطبعة جريدة الصباح بمصر

سولي عبد الرحيم مهندس
بترتيب وزارة المعارف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين .
اياك نعبد و اياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم .
صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ؟

النهضة الإسلامية الحاضرة

شغل البحث فيما بات اليوم أمراً واقعاً (من نهوض المسلمين) رجال الفكر في أوروبا وقادة السياسة في الغرب واختلف رأيهم في تلك المسألة لاختلاف وجهة النظر، وتنوع حكمهم لتنوع طرق التفكير واختلاف مناهج البحث: فمن ذهب إلى أن منشأ التطورات الخطيرة التي تروى اليوم في البلاد الإسلامية - يرجع إلى ضغط أوروبا ومسارة رجال السياسة فيها إلى تنفيذ فكرة القضاء على الحكومات الإسلامية المستقلة، وتعطيل نمو الحركات الاستقلالية في البلاد الإسلامية التي تخضع لنفوذ أوروبا وتشرف عليها الرقابة الفعلية لحكومات الغرب. ويرى أصحاب هذا الرأي أنه لولا ذلك لضغطت كن النهضة الحاضرة أثر ولا لتلك التطورات وجود. ومن رأيهم أن أوروبا لو تخلت عن سياسة السدة وعدلات عن خيانة التمتع التي تنفذها اليوم بدقة في البلاد الإسلامية اتضحت على مناشئ نهضة المسلمين

الحاضرة واجتثت أصول التطور الذى ان تركته فى حالة النمو
الحاضرة فسوف تتبدل طبيعته لاحالة . ويصبح انقلابا
خطير الشأن فى طبيعته وخصائصه، وفى مبداءه وغايته . وفى
نتائجه وآثاره ومنى تم اكتمال هذا التطور فسيصبح من
المستحيل على رجال الغرب نلانى خطره ومقاومة نتائجه
وتعطيل آثاره : شأن التطورات اذا اكتملت وسنة
الاتقلاب منى استوفى خصائصه

ومن قائل ان أسباب تلك النهضة الحاضرة ترجع الى
ما نشره ولسن من مبادئ الحديثة وبه من تعاليمه المتعاقبة بحرية
المصير واستقلال الامم . ويرى البعض ان هذا الرأى انه كان
تعطيل تلك النهضة برؤية بعض لامم الاسلاميه ردنية
تتميم السياسة فيها مبدأ حرية المصير مع المؤمنين
به ، فتعترف بحجز من المبدأ . وتنسأزل الامم من اجزاء
الآخر . وبذلك نزول أسباب النهضة ونجحت موهب اجتنابا
لا رجعة بعده . من أجل ذلك شأف فكرة المفاوضات

والتجأت السياسة الى عقد المؤتمرات على أمل أن تنال من
الامم فيها ما لم تنله بالسيف والمدفع، ونصل اليه بالنار والحديد
ولقد اقتصت السياسة بعض الامم بهذا النوع من
المخاتلة . واقتصت البعض الآخر بالنزول على حكمه حينما
يثبت من فهره في ميادين الحرب . أو صيده في ميادين
السياسة، كما وقع في الافغان وفي فارس، وما ابتدأ الغرب يعترف
به في المسألة التركية

وبذلك اضطربت سياسة في معالجة المشاكل ولم تهتد
الى خطة معينة ثابتة تلازمها فيما تحاول ان تصل اليه من ضروب
العمل لتلك المشاكل وصنوف التسوية التي تقترحها باستمرار
لأنها مخاض الشرق

ولا ضلالة في ذلك . وعندهم . ثم في اوقوف على
الاسباب التي أدت الى هذه الحالة، فربما نقشب

الى منقط أوروبا ونسبوها الى مبادئه ولسن لان لها أسبابا طبيعية أدت اليها، وارتبطت بها ارتباطا الوسيلا بالغاية والمقدمة بالنتيجة، ككل التطورات التاريخية والاعقاب العالمية : ومنذا الذى يستطيع أن يحكم بان نهضة الاتراك ما نشأت الا بعد حوادث الهدنة ؟ وفى التاريخ دلائل ترشد الى أن ما فى أتقرة اليوم ليس الا تنميا لحركات سابقة ونهضات متعاقبة نشأت عن عقائد راسخة. وآمال قوية نامية. ورغبات فى الحياة صادقة . وان كان لما وقع بعد الهدنة أثر فى تلك النهضة فهو محصور فى دائرة محدودة استطاع فيها أن يجعل التطور السابق انقلابا تاما فى مدة وجيزة له من النتائج والاثار والخصائص والمميزات ما أدهش أوروبا وجعلها تختار فى تحديد ماهيته واكتناه أسبابه

ان تاريخ فارس يرشد الى أن الحركاتها اليوم اتصالا ببحر كلها السابقة، وارتباطا بنهضاتها 'التمويلية'. كذلك يرشد تاريخ الافغان الى أن ما لها اليوم من المطامع والاكامال ودلائل النهوض والاكتمال يتصل بتطوراتها المجيدة السابقة

وفي تاريخ مصر آيات تنبيء بأن تطورها الحال مسبق
 بهضات متعاقبة ورغبات في الاستقلال صادقة . وحركات
 هذا شأنها ينبغي أن يكون البحث فيها معقودا بالانصاف
 وقائما على الرغبة في اكتناه الاسباب الحقيقية ، ولكن
 أبت السياسة إلا أن تشوه مرق البحث ووسائل التفكير
 لتنتشر حول الحقائق من الاوهام والباطيل ما يجبر الباحث
 ويضل به في مباحث وهمية . ولا غرض لها من وراء ذلك
 سوى الوصول إلى اقتناع آمن ، بأن ما نراه من الحلول في
 معالجة المشاكل الشرقية يجب أن يكون البحث فيه مقيدا
 بما رسمته من السبل ، وحددته من مسالك ، فهي صاحبة الحكم
 والمهادية إلى طرائق النظر ومنهج البحث ، فإليها يرجع
 الأمر كله في الحل والعقد . والبحث والاستنتاج . والحكم والتنفيذ
 من أجل ذلك ينبغي لمفكرين من رجال الشرق أن
 لا يهتدوا بأحد من رجال السياسة . ومن ينسب إليها من
 رجال القلم ، في شيء من المباحث التي تتعلق بشؤونهم وترتبط
 بصبرهم وتنصيص تناسي . فهو في بلادهم ، لما نشأه :

الحركات الا في ديارهم، وما كان التطور الا في مواقع أنظارهم
فهم أعلم من غيرهم بطوائع العناصر التي أدت الى هذا التطور
ونشأت عنها تلك النهضة وهم أدري الناس بما أثر فيها من
المؤثرات التي منها ما يرجع الى الدين، ومنها ما يرجع الى القومية



ولقد تنوعت طرق النشر في أوروبا وأحكمت مناهج
التضليل فيها. وما راج النمو به وقلب الحقائق في عصر من
العصور كما راج في هذا العصر؛ وما رأى التاريخ ولا سمع
بنو آدم أن حكومة متمدة قد أنشأت للتضليل دوائر خاصة
وميزانيات وافية، ومكاتب ضخمة، وأقلاما مختارة، وصحفا
متعددة وكمة إباحة وشعراء ومؤلفين وفلاسفة، وما الى ذلك مما
اصطلح على تسميته في بعض الدول بمصلحة النشر، كما أنشأت
له دول أوروبا الحاضرة وحكوماتها المتمدة

وما أنشئت تلك الدوائر الا لتهديم العقول وتضليل
المدارك وتعمية السبل على النصف خفي لا يهتدى طالب
الحقيقة إن وجد، وحتى يخلو أمامها الجوف فتقول رسم مناهج

فبحث الباحثين ووزع طرق التفكير وحددوا النظر للنظرين
فتتولى ارشاد العقول في الشرق كما تولت ارشاد حكوماته
ورجال الحل والمقد فيه لتستطيع نشر نفوذها على البلاد
وما فيها، وعلى العقول وما يحول بها، ولتقطع على الآمالين
آمالهم، وتساعد القانطين على اليأس من النهوض بأمرهم. طمعا
منها في أن يلتقي نظر الفئتين عند نقطة واحدة هي اليأس
من النجاح (والعياذ بالله) يأسا يستوى فيه القانط والمؤمل
والراجي واليائس، لان البحث قد وصل بالعقول الى الأمل
في النهوض ولا رجاء في الحياة. ذلك هو ظن أوروبا الذي
ظنته في الشرق ونهضته فقادها اسلوب هذا السبيل وانتهاج
هذا المنهج

في البلاد الاسلامية نهضة عاجلتها أوروبا بما في
استقطاعها من صنوف العلاج الممكنة. عاجلتها بالشدة
والجتها باليس. فما فازت ولا نجحت. ولو أنها كانت نهضة
مصطنعة وغير متصلة بأسباب مكيفة واسخة للاستطاعت
أن تقاوم ضغط أوروبا، وانتمكنت أن تنجو من دوائها

وتخلص من حبالها. ولا ريب أن نجاحها في تلك المقاومة يدل
 دلالة بينة على أن لها كيانا ثابت الدعائم. وأن فيها حيوية
 غير قابلة للتلاشي والاضمحلال، وأن بها من الخصائص
 والمميزات ما يصلح لمقاومة أى ضغط يتأله واعتداء يقم عليه.
 أمارات ودلائل ترشد الى أن نهضة المسلمين في الوقت
 الحاضر ما لكل نهضة ناجحة من خصائص الحياة ومميزات
 البقاء ودلائل النمو. ونهضة على مثل تلك الصفة لا يمكن
 العقل البشرى أن يتصور أنها ما نشأت الا بعد الهدنة وما
 كانت الا من آثار ما انتشر في العالم من مبادئ ولسن، وما
 عقب الحرب العامة من الاضطرابات التي تناولت كثيراً
 من أمم الارض وشعوب العالم. ومما يمكن من الامر أن
 من المسلم به لدى كل باحث، منصفاً كان أو غير منصف، شرقياً
 كان أو غربياً، سياسياً كان أو اجتماعياً، أن في العالم الاسلامي
 نهضة. وأن ما كان به من تطور قد نما نمواً خصباً الشأن
 في بعض الجهات، ودخل في دور الاكتمال في بعض آخر
 وأن خصائصه في كل جهة متشعبة وآثاره متماثلة، واتحاد

الخصائص يدل على اتحاد ماهية الحركة. ونماثل الآثار يبنى
 باتحاد المنشأ. فهل تتحد تلك الحركات يوما من الأيام اتحاداً
 عملياً يشمل جميع أنحاء العالم الاسلامي، فيأخذ الناجع فيه
 بيد أخيه الذي يسعى للنجاح، ويصبح الجميع اخواناً يتعاونون
 على الخلاص ويمشون لتحرير بلادهم من كل سلطة أجنبية؟
 وهل يسترد المسلمون سيرتهم الاولى ويسترجعون
 مكانهم السابقة؟ وهل اذا نجوا من ضغط أوروبا ودساتيرها
 يقدر لهم أيضاً ان ينحوا من خطر القومية التي ساعدت
 سياسة الاستعمار على نشرها بين حض أمم المشرق؟ وهل
 يستطيع رجال النهضة الحاضرة ان يوفقوا بين ما تقتضيه
 الاخوة الدينية وبين ما تطالبه وحدة القومية. فيحاولوا
 اخوهم الدينية ان يوفقوا بين وحدة الجماعة من لأمم متوحدة
 في الدين والغاية والمصعب، وبين القومية نصيبها في الحياة
 ويفوز الاسلام بمطلبه في الوجود وفي حركة الهند ما يدل
 على انه يمكن التوفيق بين فكرة لاحوة لاسلامية وبين
 الفكرة القومية وفي موقف واحد يحيل حركة الهند

الاسلامية القومية وحركة مصر الوطنية آيات ، براهين على أن ما كانت السياسة تذيعه من أن أوروبا تستطيع أنصاف الحركات القومية، ولكنها لا تستطيع أن ترى أية حركة اسلامية ، خيال زائل و وهم باطل . فلقد اتحد موقف أوروبا حيال الحركتين على سواء ، فما أنصفت مصر لاتها قامت بحركة قومية ، ولا غضبت على الهند لانها تدين بفكرة اسلامية . ولقد قمت بريطانيا كلنا الحركتين بقذائف متساوية فيما رأفت بمصر لان بها حركة وطنية ، ولا قست على الهند لان فيها حركة دينية بل تساوت سياسة القمع في مصر وفي الهند ثم تشابهت فيهما سياسة ليز واتحد موقف أوروبا حيال الاثنتين اتحد موقف الصحافة ، واتحد موقف الازدية السياسية واتحد ، اتجاه نضر الخالسين في المؤتمرات المتعددة . فما عطف أحد منهم على الحركة الوطنية لانها وطنية ، ولا قسا ظلمة منهم في حكمه على الحركة الدينية لانها دينية ، بل اتجه نظر جميع لتنفيذ المقاصد الاستعمارية بالذين تارة ، وباشدة ثورة أخرى . بدون التفات الى صفة الحركة

ومميزات الظاهرة . كل ذلك يدل على ان تخوف قصار النظر من اصطباغ أى حركة فى الشرق بالصيغة الدينية، وتوهمهم أن أوروبا سيختلف حكمها لاختلاف اوصاف الحركات فى الشرق ضلالا . حل بعقولهم من وراء الانخداع بما نشره سياسة الغرب، وبثته دوائر التمويه فى أوروبا

ولعل ما كشفته لنا الحوادث من عدم تحقق المخاوف التي كنا نتوهمها، والتي خدعنا بها زمنا غير قليل، يرفع عن أبصارنا غشاوة الجهل . ويهديننا الى سواء السبيل فى تفهم الحوادث، ويحول بيننا وبين قبول الانخداع مرة ثانية . ففيما مضى عبرة وفيما هو واقع بيننا اليوم عظة . وعسى أن يسكون لنا من تلك التجارب هاد ومرشد . ومن تلك الاختبارات واعظ ومزدجر فلا نكون فتنة للغرب ومحل اختبار وتجربة لاوراء كما هدانا الله الى ذلك فى قوله (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم)

ان نهضة الساميين من المسائل التي وضعت اليوم تحت

البحث في الدوائر السياسية وبين يدي الكتاب والمفكرين في أوروبا وفي الشرق. فهل يمكن وضعها عمليا بين يدي التنفيذ وتحت نظر العاملين، فيكون للباحثين من نجاحها في التطبيق ما يبرهن على أن ما تخيلوه من عدم نجاحها وهم باطل وخيال زائل. وتكون خيبتهم حيال نجاحها كخيبتهم حيال نجاح البلشفية في روسيا، مع ما بذله خصومها لموقفها وتعطيل نموها؟ على أن مقاله سياسة الاستعمار بشأنها ونشروه من البحوث المتعلقة بأنها خيال لا يتحقق وضلال في النظر سوف نخذه التجربة ويقضى عليه سير الاجتماع ويذويه صنفط الحوادث وتمحوه طبائع الوجود البشري... دعوة سياسية يراد نشرها لافساد أمر الاشتراكية وتغيير الناس منها وحملهم على الاقتناع بأنها أمر لا يتحقق ونصور يستحيل أن يوجد

فهل ترينا الايام نجاحا للحركة الاسلامية يقضى على جميع ما أذاعه المرجفون في العالم ونشره المضللون من رجال السياسة واتعصر له بعض القانطين من سياسة المشرق

واقنع به بعض ذوى الاغراض الشخصية من خدام
الاستثمار فى البلاد الاسلامية !!



ان دوام الحركات الاسلامية الى تنمو اليوم وترعرع
فى كثير من أجزاء العالم الاسلامى معقود بوجود أساس
تقام عليه دعائهم الاساسية، وذلك الاساس هو الدين الاسلامى
الحنيف. لاتفاق الجميع على الايمان بتماليهم والخضوع لاوامره
ولان فيه من الوسايا المتعلقة بتكوين الامم والاوامر
المختصة بتحديد غاية للجميع تهدى الى العمل وتقود
للتجـاح - ما هو كفى لمحافظة الحركات من التراجع، وحمايتها
من الطوارئ، وصيانتها من التلاشى

ولقد برهنت الحوادث على أن لمعتقد الشاذة الاثر
كل الاثر، وتفضل كل تفضل فى تثبيت دعائم النهضة
وتوطيد اساسها، وتكون اسباب النجاح وفى العالم
الاسلامى من ضمان ويحقق نهضة المسلمين المستمرة
قائمة على عقيدة ثابتة وخلق قوية ورسالة رابدة مكنية

فاضلة . وفي تاريخ الصدر الاول ما يدل على أن سر نجاح المسلمين يرجع أولا وبالذات الى ما كان لهم من الاستمسك بالعقائد الدينية، فلقد وضعوا تعاليم الاسلام أمامهم كبرنامج للحياة وجعلوا اطاعة التعاليم الاسلامية فريضة مقدسة، فما دعا اليه الاسلام أجابوه وما أمر به أقاموه وما نهى عنه اجتنبوه ، دعاهم الى أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحافظ على حدود الله وتجاهد في سبيله بالمال والنفس، فكانوا عند ما دعاهم اليه : غاية واحدة وبرنامج واحد . استماتة في سبيل المقصد . واستقتال لتنفيذ البرنامج . إيمانهم بالجهاد كما يمانهم بالصلاة وسعيهم له كسعيهم اليها، وحافظتهم عليه كمحافظتهم عليها، فما فرقوا بين ما جاء في الصلاة وما جاء في شؤون الحياة . آمنوا بالجميع وعملوا لتحقيق الجميع فاستقامت لهم شؤون الدين والدنيا وتم لهم ما وعد الله به في كتابه اذ يقول : (وعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى

لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا)
 تحقق وعد الله للمسلمين يوم كان الاسلام اسلامًا
 والمسلمون مسلمين حقًا، فهل قرينا الايام ذلك الوعد وهو
 يتحقق للمسلمين مرة ثانية فيصعبوا خلفاء الارض ويبدل
 الله خوفهم فيها أمنا ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم فتحرد
 بلادهم ويستقلون في شؤونهم ويستقيم لهم أمر الملك كما
 استقام لسلفهم وتضع المقادير أعنة الدنيا في أيديهم مرة
 ثانية بعد أن اتزعزعا منها أحداث الدهر، وسلبها يد
 الحداث ؟؟

هل يكون المسلمون وحدة يتحقق لهم فيها محيط
 خاص تشابه فيه جوانب الحياة : غاية واحدة وميول
 متماثلة وتصورات في شؤون الحياة متشابهات، وآمال في
 المستقبل غير متخافلة . اللهم واحد، وكونهم في الحياة واحد
 واتجاههم إلى الله واحد وسعيهم نحو العلاء وتطلعيهم للسعادة
 ورغبتهم في احراز المجد، كل أولئك ، تشابه غير متنافر
 ينتقل المسلم منهم من ناحية الى اخرى كما ينتقل في غرف

المنزل الواحد . عقائد وعبادات وآداب وعادات وآراء وميول وآمال كلها واحدة غير مختلفة ولا متخاذلة . كما قال نبيهم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كتل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر) وكما قال كتابهم (إنما المؤمنون أخوة . إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) ٢٢

ان فيما نحاول بحثه في الفصول الآتية ما يمكن أن يكون جواباً عن تلك الأسئلة . فلعن الله يهدينا إلى سواء السبيل فيما نحاول بحثه ويوفقنا إلى السراط المستقيم فيما نريد تحليله والنظر فيه أنه على كل شيء قدير

وحدة العقيدة وعلاقتها بالوحدة الإسلامية

ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

في هاتين الآيتين إشارة إلى ما يقرره سير الوجود

البشرى ، واتفق عليه الباحثون في شؤون الاجتماع : من أن
الام لا تستطيع أن تحدث انقلاباً في سبها في الحياة الا
اذا غيرت مالها من أفكار وما بنفوسها من أخلاق ، وما
بمشاعرها من ميول . لان حالتها في الوجود تتغير تبعاً لتغير
مناشئ تلك الحالة ، وتختلف باختلاف أسبابها : فالتقدم
وسائل وللحياة أسباب وللتأخر علل والموت مقتضيات
غير المسلمون ما كان لهم من وحدة دعا إليها القرآن
ووضع أساسها العملي صاحب الشريعة ، ونعم بناءه خلفاؤه
الراشدون ، واحتفظ بها من جاء بعدهم قروناً متطاولة
تبدلت في أواخرها حالة المسلمين العقلية والاخلاقية ، فبدل
الله ما كان لهم من عز أنتجته الوحدة . وغير لهم ما كان من
شوكة أقامها الاتحاد على أمتن أساس وأرسخ قاعدة

عدت المذهب التي تدعتها الفرق فيما يختص بالقضاء
والمعز وفيما يرجع الى مسألة الاممة وفيما يتعلق بتسألي
بدء . واستوكل وفيما يرجع الى مسألة الصفات الخيرية والى
بعض مسائل أخرى ألتصقوا جميعها بالعقائد والحقوقا بعلم

الكلام ، عدت تلك المذاهب على وحدة الامم الاسلامية في العقيدة، فاحمل ما كان لها من قوة وانفرط ما كان بهامن نظام . ثم أهملت التعاليم التي حث عليها الكتاب فيما يتعلق بأحياء العقائد المالية . وغرسها في النفوس غرساً يملأ القلوب خشية من الله . وتعظيماً لأوامره واستشعاراً لجلاله ورهبة من سطوته ورغبة في طاعته . وخوفاً من انتقامه وحباً في نيل رضوانه . وما الى ذلك مما عرف المسلمون في صدر الاسلام مزقته فانتفعوا به انتفاعاً أحياء العقائد في نفوسهم فنمت وترعرعت وأثمرت ثمراتها المعروفة

ولو أن هذا الاهمال كان غير مقترن بما أصاب العقيدة من وراء نشر تلك المذاهب المبتدعة لكان كافياً في اضعاف العقيدة وجعلها تعسورات علمية غير مؤثرة في المشاعر ولا مرتبطة بأحياء القلوب ولا كافية للتأثير في سير الحياة. ولكن شاءت الاقدار أن تهمل التعاليم القرآنية المختصة بتعليم العقائد كما شاءت أن تصاب وحدة العقيدة بانتشار تلك المذاهب التي مزقت عقيدة الامة ونالت من وحدة العقيدة

ان القرآن لا يزال غضا طريا ، واحترام المسلمين له
لم ينقص ولم يتبدل ، وقد دعا في غير ما آية الى وحدة العقيدة
والى الاعتصام : سبل الله والى عدم التفريق ، وفيه من
التعاليم ما يكفي لتحديد العقيدة ولائها ولاقامة الدلائل
الكونية التي لا تبدل أبد الدهر على صحتها ، فلا حاجة
للمسلمين ، ماداموا يريدون الاهتداء بكتاب الله ، الى تلك
المازب التي فرقت دينهم وجعلتهم شيئا : رأفت أهم
العقائد ، ثم رأف في مجازات حياة نعمة لديهم . كسأله الفضله
والنقاد . ومسألة الامامة . ومسألة التوكل

حكيمته ولا في رحمته ولا في مسائل السمع والبصر والكلام.
وما كان اختلاف تلك الفرق الا في مسائل الصغرى بالعقائد
وهي ليست من الاسلام في شيء، فلننبذها اليوم ظهرياً وفي
كتاب الله غنى عن كل ذلك. وما دامت العقائد الاساسية
موضع اتفاق ومحل اجماع فلتكن هي معقداً وحدة الامة
ولنترك مواضع الشقاق اليوم جانباً. وان أردنا فهمها والبحث
فيها، ففيما ورد في القرآن بشأنها ما فيه غناء وكفاية. وما دامت
حاجة المسلمين اليوم تتطلب الوحدة، وتقتضي نبذ الخلاف
فما بيننا من ضرر اذا تركنا كل ما حدث بعد القرن الثالث
وحصرنا ايماننا فيما ورد في كتاب الله لانه هو المصنوع
في المسائل الاعتمادية ولنترك كراهة الرجال جملة
فلقد مضت حياة المسلمين في عهد الرسول وفي عهد
الخلفاء الراشدين، وهي حالة من تلك المذاهب، ونزدت عن
تلك المذاهب، وانما نقتطع في ايماننا بغير ايمانهم. ولا نرجو
من رسول الله ما لم يرجوه في زمانهم
اذ نبذت تلك المذاهب ورجعوا الى القرآن وحده

في تماليم العقائد، تحققت لهم وحدة العقيدة . وكان لهم من
 انتهاج منهجه في غرس العقائد وتثبيتها في النفوس حياة
 عقلية تكون فيها أفكارهم وتصوراتهم حية مثمرة لها تأثير
 في النفوس والاعمال بالمشاعر وهيمنة على الاخلاق تهديهم
 الى العمل لما دعت اليه الشريعة من أعلاء كلمة الله والاستماتة
 في سبيل تأييد دينه . وما انتصر المسلمون في صدر الاسلام
 الا بقوة العقيدة ووحدها . وما كانت قوة العقيدة الا من
 قوة التربية التي غرسها وأشرفت على نموها ووضعتها على
 حالة تضمن لها النمو والحياة المثمرة ، وما كانت وحدها الا
 لتوحد المصدر الذي اهتدت به الامة في تكوين تلك العقيدة
 كان القرآن بمنزلة القانون الاساسي هم في تكوين
 للعقيدة . وما كان يمكن احداً منهم ان يجيدوا فيه قيد شعرة
 وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحده اَوْه يقوّمون في حياتهم
 مقام القدرة التوجيهية التي هي حياة القانون الاساسي اليوم . من
 أجل ذلك نجد في هذه العقيدة من خطر الانقسام ومن
 خطر التسكران من الامة غير المسلمة لظهور تأثير في مجرى

الحياة: لا ابتداع في العقيدة ولا إهمال في تربيتها

فهل للمسلمين اليوم من عودة إلى انتهاج هذا المنهج؟
هل لهم أن ينتفعوا بحوادث التاريخ وعبر الأيام ومواعظ
الدهر، فيعمدوا إلى التزام خطة أجيالهم في توحيد العقيدة وفي
تربيتها؟ هل لهم أن يجدوا برناجاً للعقيدة تقوم على مبادئه
قوة تحميه من الابتداع. ونحول بينه وبين خطر المذاهب
الضارة. داخلية كانت أو خارجية؟ وهل لهم أن يضعوا
نمطاً للتربية على نظام ما دعا إليه القرآن يكون كفيلاً بحمل
تربية العقيدة القائمة على أساس يؤثر في المدارك ويرتبط
بأركان الحياة، فتكون لهم وحدة في العقيدة، وتكون لهم
عقيدة مؤثرة في مجرى التاريخ؟

إن أمانتنا كتاباً يهدي إلى الرشاد. وتاريخنا للرسول
يبين كيف أمكن تحقيق ما دعا إليه القرآن على نظام عملي
مثمر. وبين أيدينا سيرة للخلفاء الراشدين تحتّم فيها شكل
كامل للحياة الإسلامية طبقت فيه جميع التعاليم الإسلامية
وفي ذلك آيات يثبت على أن من الممكن تطبيق التعاليم

الاسلامية مرة ثانية . وان ما ينشره ساسة الغرب الدسائسون
ويعيل اليه القناطون من أهل المشرق : من أن لكل عصر
مقتضيات ، وان مقتضيات العصر الحاضر لا تسمح باعادة
تلك التجربة مرة ثانية ؛ خطة مدبرة ودعوة وادبها نشر
اليأس في قلوب المسلمين وحملهم على القنوط من رحمة الله
وجرحهم الى انتهاج منهج في الوجود يكونون فيه مذنبين
بين الغرب وبين الشرق : لاهم مسامون يعملون بجميع
ماورد في الاسلام : ولا يتم عربون يدينون بجميع ماتندين
به أوروبا من العقائد والاعمال وشؤون الحياة !! وفي ذلك
من الخطر على الوحدة الاسلامية ما شاهد اثاره اليوم من
الامتلات بين الصبغة الهندية والصبغة التي خدتها خطة
أوروبا . لا تحفة من ولا تخرج من ذلك المأزق
الابائسج منهج الترائف في تكوين تعقيدة وتوحيد
ليكونوا مسلمين متبرزين مرة واحدة في تميزهم من
غيرهم . انما يريدون التمسك ونفوسهم في كل منها
خمساً

فهل للمسلمين أن يغيروا ما بهم حتى يغير الله حالتهم
الحاضرة فيستغلظهم في الأرض ويمكن لهم دينهم ويبدلهم
من بعد خوفهم أمنا ؟؟

المبادئ الأساسية للوحدة الإسلامية

يبدأ في الفصل الثاني أن الوحدة الإسلامية تتوقف
على توحيد العقيدة وعلى تكوينها تكويناً بجمعاً منتجاً
فعالة . ويريد في هذا الفصل أن تذكر جملة من المبادئ
التي يتوقف عليها أمر تلك الوحدة وهي :

(١) أحياء الأخوة الإسلامية

(٢) أحياء الاهتمام بالقرآن (٣) تنظيم المعارف

الإسلامية (٤) أحياء فروع الكفاية (٥) أحياء طاعة الامام

(٦) تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة (٧) القيام
بفريضة الجهاد حسب رُؤى "سرية"

وسنتكم على كل شيء . ثم على حسب هذا الترتيب

الأخوة الإسلامية

جاء في سورة الحجرات : لا يؤمنون أخوة ، وجاء

في سورة التوبة « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرزون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله . أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » وجاء في سور الفتح « محمد رسول الله والدين معه أشداء على الكفار . رحماء بينهم » وقال صلى الله عليه وسلم « المسلم أخو المسلم لا يظله ولا يحفره ولا يخذله » رواه مسلم

وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمن مثل المؤمن في توادهم وتراحيمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسلى والهر » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

الى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي وردت في هذا الشأن وهي تدل في جهتها بتعيينها على أن الإسلام يستلزم زيارته خالصة روية أنه يسهل ولا يحكماء به ولا

يسلمه . وان واجباً على كل مسلم أن يحج في نفسه هذا
المبدأ ، وأن يعود نفسه القيام بما يطالبه به من الحقوق
والواجبات فيؤديها لأخيه المسلم أينما وجد وحيثما كان ، لا فرق
بين من يسكنه في وطنه ومن هو مقيم في ناحية أخرى
لان الاسلام لا يعترف بحدود القومية ولا بمقتضيات
العصبة . وهو يقول بصريح العبارة : « ليس منا من دعا الى
عصبة ، وليس منا من قاتل على عصبة ، وليس منا من مات
على عصبة »

لاجنسية في الاسلام ، ولا قومية في نظر القرآن ، لان
الاسلام فوق حدود الاوطان ونجوم الافطار . هو دين
ما جاء الا ليوجد بين المؤمنين رابطة تقوم مقام رابطة
الوطن ، وينشئ بينهم عصبة تحل محل التعصب للجنس ،
يريد أن يكون لهم محيطاً تتوحد فيه المفائد والاخلاق وجميع
الانظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ويتعاملون ويقيمون
لهم من هذا المحيط وحدة واحدة سرزناحت و «وتمسبون
لن يسكن فيه . وحدود الاسلام هي حدود الوطن لديهم . وكل

ما احتوت عليه تلك الحدود فهو من المناطق التي يجب عليهم حمايتها ودفع العدو عنها . وضع أرواحهم على أكفهم ، وأموا لهم بين أيديهم لصياتهم والذود عن أعلامها ومعالمها . بذلك تقضى الشريعة الإسلامية ، وعلى ذلك درس المسلمون الأولون والسلف الصالحون رضوان الله عليهم أجمعين

ان الاخوة الإسلامية من الاخلاق التي تأصلت منابتها بين المسلمين حتى أصبحت خلقا يشبه الاخلاق الموروثة . من الولد عن أبيه ، وبناته عن أمه ، لا ساط التي يعيش فيها وكان له اليد والناظر والوالد والوالدة والكتاب والشعراء والامراء . اية تربية هذا المبدأ وتكوين هذا الخلق . تنظر . حتى يصبح دورا في تأدية وظائفه التي يريها هذا الاسلام

كانت . . . من عنى من الاخوة في دروسهم ومجاهداتهم . انهم قد اتوا فيهم البرية . سبهم الى ذلك الكتاب . رتادهم . احب الشريعة وفيه الاسرة الحسنة ، وبن الواجب على العالم بالابتداء . فكمدوا الى الاخرة وكم عمل لها وكم أزال

العراقيل من سببها! ولم يمت عليه أفضل الصلاة وأتم السلام
حتى ينسحب بالقول في خطبه وأحاديثه، وحدد بها العمل في أنظمتها
وترائيبه، واقتدى به الخلفاء الراشدون فكانت عنايته بهم بالوحدة
لا تكاد تقف عند حد، ودرج على ذلك من جاء بعدهم. وكان
المسلمون يدينون بهذا المبدأ قولا وعملا فأموالهم تنفق في
سبيل حياة الحسدود الإسلامية لا فرق بين ما كان منها
بأقصى المشرق وما كان منها بأقصى المغرب، وكانت أدبهم
تباع في سبيل الذود عن حياض الملة وكفالة الترخوم
الإسلامية لا فرق بين ما كان منها بأقصى الجنوب وما كان منها
بأقصى الشمال، لأن الإسلام ووطن الجميع والاسلام في جميعها
أخيرة وانؤمنون بعضهم أولياء بعض، على كل منهم أن ينصر
أخاه وأن يرافقه عنه، وأن يعمل لتمكينه في الأرض وحماية ماله
ونفسه ورجاله في مأمن على استقلاله وحرته. ذلك شأنهم
يوم كان الاسلام اسلاما، والمسلمون مسالين

حقا كان للعلماء عناية بأحياء هذا المبدأ فما قرأنا كتابا من
كتب الصحاح أو السنن أو الاسانيد الا وجدنا فيه أبوابا

يدون فيها ما روى عن صاحب الشريعة من الامر بالاتحاد
ومن النهي عن التفرق وما الى ذلك مما يرجع الى احياء مبدء
الاخوة بين المسلمين بعضهم مع بعض . وما دونوها في
الكتب وذكروها في المصنفات للحفاظ ما ورد عن صاحب
الشريعة ، وحمل الناس على العمل به لانه من سنن نبينهم
القيمة . حقا انهم ما دونوه للتبرك وما كان جمعهم له لمجرد
التبرك بما قاله صاحب الشريعة لان تلك الفكرة لم تكن
موجودة في عصر العمل بالشريعة وانما وجدت بعد ان ذهب
العلماء وخلف من بعدهم خلف يأخذون عرض هذا الادنى
ويقولون سيغفر لنا ، وان يأثمهم عرض مثله يأخذوه . ان يؤخذ
عليهم ميثاق الكتاب الا يقولون على الله الحق ودرسوا
ما فيه . والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا يعقلون
وهم العلماء في عصر الاسلام كلام الله وكلام رسوله
وعرفوا مراميهم ، دركوا مقاصدها ، حق الادراك ثم عرفوا
وظايفهم التي أمرتهم بها الشريعة ورغبوا في رغبة صحيحة في
القيام بها كاملة فجعلوا بين العلم والعمل بناء قامت لهم أمور

الدين والدنيا وفاضوا بسعادة الدارين : أولئك سيرحهم الله
عرفوا أن الاسلام اذا خاطب ، خاطب الامة الاسلامية
لا فرق بين أمره ونهيهِ ، وأدركوا ان ذلك منه اشارة الى أن
الامة هي المكلفة وهي المطالبة وهي المأمورة وهي المنهية
وانها متى دعيت أجابت اذا توفرت شروط الدعوة . عرفوا
ذلك وعرفوا أن عليهم ان يبينوا للناس أن يهدوهم الى
الصراط السوى

فتوجهوا لاحياء الامم وتنبيه الشعوب وتركوادوائر
الامراء حائبا لعلهم أن الامة متى علمت ومتى تنبئت
فسوف نجبر الامراء على أن يقفوا عند ما حددته الشريعة
وطالبهم به الكتاب ، وكان لهم من الله بعد مؤتمرات دائمة
ووجدوا أن الشريعة أغنتهم عن التذكري في الوسائل . فما
عليهم الا ان يرتدوا ، فندأرت اذريه ر بأن يتوجه
الى الامم التي لم يسمعوا بها انهم يستطيع
أن يربوا بحكمة وصدق سعيهم
الدين والدنيا رزقهم الله رزقهم الله

على أساس ثابت لا يتزعزع وذلك كحضور السامعين للصلاة واجتماعهم في المسجد وشهودهم للجماعة واجتماعهم للجمعة . عرف العلماء مقدار ما عملته الشريعة من التسييزات لجمع الناس وحشدهم لهم ، فكانها أعطتهم سلطانا يفوق سلطان الملوك . لان سلطان الملوك هما عظم فهو غير نافذ الى القلوب ولا واصل الى المشاعر . أما سلطان العلماء فهو على القلوب وعلى الاجسام . سلامة عرفها العلماء في صدر الاسلام فاتفقوا بها ، وكانوا كل شيء في الدولة وفي الامة

ربما عرف التاريخ سلطانا تخضع له الناس بغير مال ولا جنـد ، وبغير سيف ولا مدفع ، وبغير رغبة ولا رهبة سوى سلطة ان العلماء : صدر الاسلام ؛ كانوا كالقوة التشريعية التي تخضع لها رعايا اليرم وكان لهم فوق ذلك الاستفتاء في العقائد والامور وسائر فروع الحياة ؛ فكانوا مرجع الامة في كل شيء وكانوا مرجع الولادة في كل أمر ، لذلك ترى امرأتهم يعصم شأنهم وهم أجراً عظيماً اذا ساءوا ، ويهددهم بأذى عظيم اذا ساءوا . سيرهم أهموا الأيمان ، وتركوا الامة

في جهالة

من هنا يمكن الباحث في تاريخ الاسلام أن يفهم
وظيفة المساجد وما كان لها من التأثير في حياة الامة
الاسلامية يوم كان العلماء علماء ومتى قارن بين وظيفتها فيها
مضى وبين وظيفتها اليوم تبين له حال العلماء في الصدر
الاول وحالهم في الايام الاخيرة، وأدرك معنى قوله « إلى
» وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاء » فن
تبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ر من أعرض عن ذكرى
فان نه معيشة سننكا »

توجت عناية العلماء فيها مضى اتعايم الامة ماورد في
الشريعة وتنبههم الى ماعدت اليه وكان للواحيات درجات
عندهم، وكانهم تلك الواحيات أمر الوحدة الالامية، لان
القرآن ملأوه بالدعوة الى الوحدة وبالنهي عن التفوق لان
سيرة الرسول كانت قائمة على تنظيم أمر الوحدة وعلى لم شمل
الجماعة، ولان طبيعة الاسلام قائمة على أن يكون الله لم أخا
للمسلم، لان وحدت جميع الحقوق وسوت بين أفراد الامة

في جميع الواجبات، فما فضلت أحدًا على أحد وما جعلت لفرد
ميزة على فرد بل جعلت السكل اخوانًا وهي: أنهم لغرض
واحد: هو اعلاء كلمة الله

ان اعلاء كلمة الله غاية الديانة الاسلامية، ولا يكون هذا
المقصد ولا تتحقق هذه الغاية الا بالوحدة، فعلينا بتوقف
نجاح الاسلام

من أجل ذلك اهتمت بها اشرية أئمة اهتمت بها
بها الكتاب، واهتمت بها سنة، واهتم بها خلفاء الراشدو،
واهتمت بها العلماء المهديون. وما كانت النابر الا وسيلة من
وسائل الدعوة الى الاتحاد. ما كانت الا لبحث جباهير الامة
على لقاء غوارق ونبداء العصبية. ثم يغمر الى الامتياز
والثقة. ثم يقتحم به. ثم يركن للوئحة شأيه بتلك
الاخوة وكذا. ثم يركب حرمه من نشره. ثم يركب

رمز لغني الوحدة؟ وهل وجبت طاعة لامام لا لتحقيق
ذلك المبدأ؟ وما كانت طاعته مفرضة على فرد الا تنفع الفرقة
وتنظيم أمر الجماعة. الخلافة واحدة ليتعد مصدر السلطة
والكتاب واحد ليتعد مصدر التشريع، والساجد واحد
للتعد ممكنة العبادة. وحدود الله واحدة ليتساوى المسلمون
وفي الم. اواة تحقيق لغني الوحدة حدود البلاد الاسلامية
واحدة في وجوب الدفاع عنها على كل مسلم انما ان الوحدة
وابن السبيل أينما سار فهو يسير بين اخوته وأخواته، أينما
حل يجد عادات تائل عاداته وأنظمة تائل أنظمتهم ومشاعر
واداباء أراء. وتصورات في الحياة تائل مآله، لا يشترى غربة
ولا يحس أنه في غير بيته

فل يوجد نظام الوحدة كهذا النظام؟ وهل كان تشريع
لتحقيق الآخرة تائل هذا التشريع؟

عمل السائر بما أمر به الله به في الحياة يوم
كانوا مسلمين. فكانت لهم حياة أشبهت فيها أحراب
الحياة، ذلك أبزوا تلك ثمرة إلى حين الزحود، فمن

يدعي أنها فكرة خيالية أو أنها غير قابلة للوجود أو أن مقتضيات العصر الحاضر لا تسمح بظهورها مرة ثانية، فهو عجوج بالتاريخ، والتاريخ أعدل حاكم وأصدق ناطق ولعل قائلا يقول: إن في تحقيق الاخوة في هذا العصر قضاء على فكرة القومية ومحو المعالم الوطنية، ثم هو فوق ذلك رجوع الى عمود مضت وأفكار بليت وهل الاخوة الاسلامية الا نوع من الامبراطورية؟

ومقتضيات العصر الحاضر تناقض هذا البدأ وأراء المدينة الجديدة لا تؤيد الا مبدأ القومية. فإن أوروبا ارتقت الا بعد أن قضت على فكرة الاخوة المسيحية وبذت فكرة الامبراطورية المقدسة واعتنقت مبدأ القومية الناهض المنتج ان الرجوع الى فكره الاخوة الاسلامية رجوع الى نظام استبدادي لا أثر فيه للحرية، نظام يجعل طبقة حاكمة وأخرى محكومة، طبقة غالبة وأخرى مغلوطة، طبقة سيادة وأخرى مسودة، نظام ينتهي بحصر السلطة في أيدي خاصة تحت اسم الاخوة الاسلامية ان نظاما كهذا يناقض الاراء

الجديدة والمبادئ المستعدة . وهو في ذاته نظام رجمي لا
يستطيع مماشاة المدنية الحاضرة

يمكن أن يقال ذلك باخلاص ، وأن بصائر هذا القول
من قوم مخلصين ، ويمكن أن يقال بوحى أوربي ومن قوم
متأثرين بالدسائس الاجنبية . وسواء أكان هذا أم ذاك
فإن جميع ما قيل في هذا الايراد ، وجاء في هذا الاعتراض
لاصلة له بمعنى الاخوة الاسلامية ولا ينطبق على ما يقضى
به ذلك ابداً

المسلمون اخوة ، وفوق ذلك بينهم موالاتة ورحمة ومتى
نظرنا الى هذا المبدأ والى ما أمرت به الشريعة من المساواة
وعدم التفاضل . وخضوع الجميع لمسا جاء في الشريعة لافرق
بين الراعى الرعية والامام والمأموم والخليفة وأى فرد من
أفراد الامة أين أن مبدأ الاخوة ان تحقق تحقق مع
تامة تتساوى أفرادها جميعاً أمام شريعة واحدة وشريعة تفوق
جميع الشرائع فى اختلاو من المصلحة الدينية والسلطة الدينية
ومن اعتبار المبادئ بها فوق القانون . ولا أدل على ذلك

من قواه تعالى . يا أيها الذين آمنوا كونوا
قوامين لله شهداء بالقسط ولو على أنفسكم أو الوالدين
والأقربين . إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا
الهوى أن تعدلوا وأن تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما
تعملون خبيراً) (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله ، ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا
هو أقرب للتقوى) « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس فاحكموا بالعدل » « يا أيها
الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

وقوله صلى الله عليه وسلم « لیس لعربی فضل علی عجمی
ولا لعجمی فضل علی عربی الا بتقوی الله » الى غير ذلك من
الآيات والاحاديث الدالة على أن المسامین تتكافأ دماؤهم
وأموالهم ، ويسمى بضمهم ادناهم . فهم متساوون في الحقوق
وفي الواجبات . وصالحون أمام الشريعة لتوایة النساء
وتعروج في معارج الرقي الاجتماعي . غاية الامر ان الاثر

الذي يرتب على تلك الاخوة ترتيباً ظاهراً هو اشتراك الجميع في الدفع عن أى بلد اسلامي يراد احتلاله والقضاء على استقلاله ، فنتيجة تلك الاخوة كنتيجة التحالف الذي تصنعه السياسة الدولية اليوم . وكل ما في الامر ان التحالف السياسي اثر من آثار توافق المصالح في ظروف خاصة ، فهو ضرورة رقتية . ربما كان الاسلام ديناً عاماً معقناً به بأن تكون لهم غاية واحدة يجتمع حولها مقاديرهم العامة وكانت تلك الغاية دائمة ، وكان دواهم سبباً في توحيد المصالح العامة باستمرار كانت نتيجة الاخوة الاسلامية ، هي التحالف على دفع العدو . أما دائماً غير منقطع وكانت مبنية على توحيد المصالح الدائم وكانت قائمة على تماثل المشاعر تشابه الافكار . فما تلجأ اليه السياسة عند الضرورة أمر به الاسلام كقاعدة عامة للحياة الاسلامية . فهو تحالف في دوائر الحكومة وتحالف في المدايا ، وتحالف في الآلوان ، وتحالف في مناشيء العبادة . تحالف مودرت . تحالف يلحق بالامور الطبيعية فله خصائص الاخلاق النبوية والطبائع المتأصلة في النفس

هو من الملوك اللاشعورية يحس به السلم كما يحس بسائر
الامور الوجودانية من الميل والنفور والجوع والمطش .
نظام صنعه الاسلام ، فهو من صنع الآله لا من صنع الدوائر
السياسية

واذا كان في مصر من يرى أذ من الممكن الجمع بين
الاستقلال التام وبين الاعتراف بالمصالح البريطانية ، التي
لا تنافي الاستقلال ، وأن من تلك المصالح عقد مائة مبنية
على المساواة ، إذا كان هذا غير ضار بالقومية ولا مؤثر في
ضيعة اللوئانية المصرية ، فلم لا يجوز أن يكون تحالف
الساميين تحالفاً ناجماً عن الشعور بالآخوة غير ضار بالقومية
ولا ماس بالوطني ، إن معنى القومية هو أن الإنسان
في بلده آمن على ما هو ونفسه ممتدة للجميع ، لا من الحقيق
واختص نص في سم ذلك ثم أمر القومية ولا يضرها بعد
لنبت تحالف مع أمة أخرى ، أنه تمام شعب آخر والآخوة
لاصرية ليست أمراً وراء هذا التحالف رد ذلك الاتحاد .
إذا كانت هذه التهم التي تثار في الميدان فربما على صنف

الدردنيل ؟ كانوا يقولون أنها سالت لدفع الهدو المشترك ونصر القضية المشتركة . كان ذلك يقواء الحلفاء يوم وضعوا أرواح أئمتهم وأموال شعوبهم بين يدي تلك القضية ليتم لهم النصر فهل كان ذلك حادثا غير طبيعي ما كان أمرا بدعا ولا حادثا شاذا . بل كان أمرا قضت به ضرورة صنعها السياسة ثم زال الالحاد لانه كان غير مؤسس على اتحاد القلوب والمدارك . لكن الاخوة الاسلامية دامت الى اليوم ، بيد أن أثرها كان معقودا بوضعها على نظام يجعلها فعالة ومتبعة . ولولا ما صنعه الامراء من التفريق . وأوجده العلماء من الاختلاف والتنازع ، لكان للمسلمين اليوم تحالف حربي نذل أمامه أوروبا وتخزي ٢٠

ان عظمة الامبراطورية البريطانية ما كانت الا من اليوم الذي وجدت فيه وحدة صناعية بين لندن وبين جميع المستعمرات الانجليزية

ولقد حاولت السياسة أن يكون إنك الامبراطورية فيه وحدة في المواطن والتسورات فوجدت الى ذلك

سبيل لا نها تريد وحدة قائمة على التفاضل من ناحية، وعلى
أهم مختلطة في الدين والمنازع من ناحية أخرى. أما الاسلام
فيستطيع أن يوجد الوحدة على قاعدة المساواة بين أهم
متعددة في الدين والمشرى ومجرى الحياة العامة

توحدت ولايات أمريكا الشمالية فكان للجميع عظمة
وشوكة، توحدت الولايات الألمانية، فكان لألمانيا حياة
وصولة. وقد طلعت روسيا أخيراً لأن توجد بين أحزاء
امبراء أوردهم وحدة مناعية. آيات ودلائل تنبئ بان اتحاد
الممالك يمكن أن يكون ولكنه لن يدوم الا اذا كان مبنيًا
على اتحاد القلوب والمدارك. فاذا تمكن المسلمون من إيجاد
وحدة فسوف تكون دائمة لقيامها على قلوب متعددة
وأراء متماثلة

كان للمسلم كل الأثر في نتائج الوحدة الإسلامية في
صدر الاسلام وكان غايهم أكثر الانتم في تفرق الممالك
الإسلامية ذابهم اليوم بتوقف أمر الوحدة الإسلامية
ويقيدنا أنهم يمسكون في ذلك في دروسهم ومجالسهم في المساجد

وعلى المنابر. في المصنفات وفي الجرائد. وأهم شيء يستطيعون
به احياء تلك الوحدة هو الاهتداء بكتاب الله
احياء الاهتداء بكتاب الله

وان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم — هو الذي
بعث في الاميين رسولا منهم. يتلو عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة، وان كانوا من قبل في ضلال
مبين — لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا يتلو
عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. وان كانوا
من قبل في ضلال مبين — كما أرسلنا فيكم رسولا منكم
يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم دينكم تكررنا، تعلمون :
سئلت عائشة رضي الله عنها عن معنى قوله تعالى (وذلك
لهي خاتم عظيم) فقالت (كان خلقه القرآن) في جوابها
اشارة الى قوله تعالى (توحي اليك ربك) في كتاب
وأما قوله تعالى (توحي اليك ربك) في كتاب
الكتاب — به يهدي للتي هي أقوم — كذا
ربنا انزلنا في كتابنا — كذا

ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً) الى غير ذلك من الايات
التي أمر فيها - الى الله عليه وسلم باتباع ما يوحى اليه، وجعله
اماماً يقتدى به، وقد فعل صلى الله عليه وسلم ما أمر به وقام
بما طلب . نه خير قيام، فتلا على الناس القرآن ورباهم تربية
علمهم فيها الحكمة وزكاهم على حسب ما فصل في الكتاب
وبين في القرآن. وجاء بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي
فمخلفوه بالاهتداء بالكتاب في جميع شؤون الحياة، وما
وجدت حكمة عمات بالساواة ونفذت نصوص الدين الا
حكومة الخلفاء الراشدين، فقامت طبقت جميع ما جاء به
الكتاب على شؤون الحياة تطبيقاً برضى الله ورواه
والؤمنين والناس أجمعين

ان الاهتداء بالقرآن في زمن الخلفاء الراشدين كان
قاعدة الحياة واتقوا الدنيا واتسعت امامهم مطالب
الحياة واتسعت رقعة المصلحة، فما احتاجوا وهم على تلك
الدرجة الى انون سياسي موضوع ولا قانون مدني مصنوع
ولا قواعد السلوك . الا ان ابداً خروجة من فلسفة البشر

وحكمة أهل النظر، فما اجتدعوا بدعة في شؤون السياسة ولا في أمور القضاء ولا في أى فرع من فروع الحياة، لأنهم آمنوا بالله وبرسوله وآمنوا بالقرآن على أنه قانون للحياة وهداية في شؤون الدين والدنيا، ورأوا من نصوصه وقواعده ما فيه الفناء والكفاية، أدركوا ألا حاجة تدعوهم إلى الابتداع في شؤون الدين أو مسائل الدنيا، وأدركوا كذلك أن في هذا الابتداع قضاء على روح التشريع الإلهي وخروجاً على تعاليم القرآن نفسه ورغبة في وضع الهداية البشرية موضع الوحي الإلهي وردها إلى أن في القرآن نقصاً يجب تكميله. وإن في السنة حاجة يجب تكميلها أدركوا ذلك جميعه فلزموا الاتباع وجانبوا الابتداع واكتفوا بهداية القرآن وإرشاد السنة، فقام لهم ما وعد الله به المؤمن من الا تخلاف في الارض ومن عمكين الدين ومن الاستمتاع بلذة الحياة وهي الامن الشامل للارواح والاديان والاعراض كما قال الله في كتابه ' وعد الله الذين آمنوا منكم بعملوا الصالحات ابستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من

قبلهم وليمكنهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من
بعد خوفهم أمنا

علم الصحابة رضوان الله عليهم ان قواعد التشريع
يبد الكتاب وحده وان السنة بيان لهذا الكتاب وأن اتباع
الكتاب واجب واتباع السنة واجب وأن الابتداع
منهى عنه وأن الابتداع المنهى عنه هو ما كان متعلقا
بأمور الدين لأنها مأخوذة من لسان الوحي فحسب أما
الابتداع في شئون الدنيا والتفنن في طلب الملك
والابتكار فيما يؤول الى اعزاز الملة ورفع كلمة الله فهو مما
يرضاه الله ويرضاه رسوله وإلى ذلك إشارة بقوله صلى
الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجر من
عمل بها في يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فله أجر من
عمل بها في يوم القيامة

وإذا كان من سن سنة سيئة فله أجر من
عمل بها في يوم القيامة

وعمالا يكاد يعقل أن يجتمع في نصوص الشريعة المطهرة نهى
عن الابتداع ، وأمر به في شئ واحد

إذا ، فلا بد أن يكون النهى متعلقاً بجهة والحث مختصاً
بجهة أخرى . وقد علم من استقراء النصوص الشرعية أن
النهى عن الابتداع مقيد بأمور الدين ، والحث على استئذان
السنن ووضع الطرائق مقيد بشؤون الدنيا . فالمسلمين أن
يتكروا وضع طرق حسنة لتنظيم شكل الحكومة ولتدوين
الدواوين . ولهم أن يسئروا استئذاناً للتأخر للناجم وحصيل
الثروة من وجوهاً المشروعة . ولهم أن يتكروا ما شاءوا
من تنظيم الجيوش ومحضبة الذخائر واتقان صنع الأسلحة
واحكام قواعد الفن الحربى وتسهيل طرق المواصلات
واحكام شؤونهم الخارجية . لهم أن يضعوا في ذلك سفناً
وطرائق ، ومن سن منهم في ذلك سنة حسنة قوية عظيمة
الاثار ظاهرة النفع فله أجره وأجر من عمل بها الى يوم
القيامة ، كما أن من سن منهم سنة سيئة في تحصيل الجباية
ووضع الكوس وشكل الحكومة وإهمال الآلات الحربية

الشريعة من التبديل والتعريف، واستقام لهم الاهتداء
بكتاب الله، لان أعظم الاشياء خطراً على الاهتداء هو
الابتداع واشراك الهداية البتيرية مع الهداية الالهية

ولو أن الصعابة أشركوا مع الهداية الإلهية شيئاً قليلاً من الهداية البشرية ، لما أوجدوا تلك الحكومة العادلة ، والشعب المجيد ، والآثار الخالدة . رأوا أن في القرآن آيات تتعلق بأفعاله وصفاته ، وبالرسول وصفاته ، وبالدار الآخرة وما فيها ، فآمنوا بها كما وردت ، ثم رأوا ما في القرآن من الأدلة وإبراهيم الدالة على ثبوت تلك المعتقدات ، وجعلوها قانوناً للنظر ، ومعياراً للاعتبار . وكانت في وصوحها رسالة دلالة صالحة لأن تدركها عقول الجاهل كما تدركها عقول العلماء ، لأنها هداية لكل ، وإرشاد لبني آدم على سواء . اكتبوا به في القرآن من نص على المعتقدات .
الإرشاد إلى وجوده دلالة . ومن ثم رجع فيها إلى الحجة عليه السلام .
في قوله تعالى : « لا اله الا الله » .

وراء تلك الحدود خروج على الدين وعلى العقل معاً ،
فمضوا على تلك المعتقدات بالتواجد ، وصرفوا عقولهم الى
شؤون الحياة ومطالب المعيشة ، فاضوا غمارها بعقول صافية
غير مرتبكة ولا مشوشة ، فجاءوا بالمعجائب والمدهشات ،
ولو أن القرون المتأخرة سلكت مسلكهم في المعتقدات
لما وجد هذا التفرق ، ولما كانت تلك المذاهب ، ولما تحولت
الامة الاسلامية عن الاهتداء بالقرآن في أهم شيء يتوقف
عليه النجاح في الآخرة . وترتبط به الاستقامة في شؤون
الدينا

فهل للمسلمين اليوم أن يتعظوا بتلك التجارب ، فيعودوا
الى ما كان عليه سلفهم من الاهتداء بالقرآن في العقائد التي
تتعلق بالله وبالرسول وباللائكة وبالكتب وبالدار الآخرة ،
وأن يدركوا أن مسائل الغيب لا تؤخذ لا من طريق انوحى
وأن يعلموا أن ما أُرشد اليه القرآن من الدلائل هو آخر
ما يمكن لعرض أن يصل اليه . بذلك يشهد تاريخ الفلاسفة
بأن قدم عموداً ، أى يسوم . من المسلمين أن يتركوا

الاختلافات ، أن يرجعوا الى ما كان عليه سلفهم ، لتستقيم لهم شؤون الحياة مرة ثانية ، وما الذي استفدناه من الخلاف في أن الوجود عين الوجود أو غيره ، أو أنه عينه في الواجب غيره في الممكن . أو أنه أمر حقيقي أو انتزاعي ؟ وما الذي استفدناه من أن الاسم عين المسمى أو غيره ، ومن أن الصفات عين الذات أو غيرها ، ومن أنها ممكنة أو واجبة ؟ وما الذي استفدناه من أن علم الاله هل هو تفصيلي أو اجمالي ؟ ومن المباحث المتعلقة بالقدره والاراده والكلام ولقدم الذاتي واثره في ، ما الذي استفدناه من ذلك ومن غيره ، وأى أثر لبحث يتعلق برضاء الله أو باستقامة أمور الحياة ، أما كفت تلك القرون خلت تلك المشاكل . ونهاه النزاع فيها ، وهل علماءنا لا يزولون يرون أن لا بد من لزومها لكل طالب علم . وراعى في تثبيت عقيدة . ان كانت دينية فدينه كونه . وكونه . وكونه عقائدية . ان كانت موضع حرج فمقتضى ترفع خلافها . وان كانت موضع خلاف فمقتضى حجة يبين في اعتقاد أي لا ينفذ

فيها الا البرهان اليقيني ؟

حالت تلك المباحث بين المسلمين وبين الاهتداء بالقرآن
في علم التوحيد ، وهو أهم العلوم لديهم . ولقد ضمنوا اليها
مسألة القضاء والقدر ؟ واللبسوا تلك المسألة لباساً دينياً من
ناحية . ولباساً عقلياً من ناحية أخرى ، ليزيدوها ارتباكاً
على ارتباك ، وتعقيداً على تعقيد . يعرضونها أمام العقل ،
ويضعونها في معرض البحث ، ثم يسدون على العقل طريقه ؛
هل هي عقيدة ؟ ان كانت عقيدة فلماذا لم يهتدوا فيها بهدى
القرآن ، ولم يسلكوا في الايمان بها وتطبيقها على شؤون
الحياة ، وتطبيق شؤون الحياة عليها ، سبيل النبي ، وسبيل
اشيائه ، راشدين بعده ؟ وان كانت غنمية صرفه ، ونحتا عقلياً
مخترع . لا ريب في انهم سألوا العقيدة ؟ ان كانت
عقيدة راشدين ، فماذا كانت مسألة جدلية
وغيره ، ليزيدوا على ما سبق ، ويضعونها
في معرض البحث ، ثم يسدون على العقل طريقه ؛

في القرآن ، فهو المعصوم وحده ، وهو مرجع العقيدة دون
سواه

القرآن والاخلاق

في القرآن آيات تتعلق بالاخلاق وبقواعد السلوك
وللقرآن عناية بهذا النوع تكاد تستغرق أكثر ماورد
فيه من الايات الكريمة . وقد أدرك ذلك المسلمون في صدر
الاسلام فاستمسكوا بها واعتبروها قانونا في علاقاتهم
الشخصية والاجتماعية ، وفيما بينهم وبين الله . فكانت يوتهم
مستمسكة بما ورد في القرآن من 'الاول' المتعلقة بالولد نحو
والده . وبالوالد مع ولده ، وبالرجل مع زوجته ، وبالثمن مع
أقاربه . وكانت أوساطهم مستمسكة بما ورد فيه من الاداب
تتعلقة بالاحوة الاسلامية . واداب الجوار . وباحترام ذوي
الفضل وأهل العلم . وكان كل فرد منهم رذبا عليه من الواجبات
ثم ، يؤديها في كل وقت وفي كل زمان : من صلاة وزكاة وحج
ان استطاع . وجهاد بالمال والنفوس ، وتطبيق أعماله على ما
أمره من شؤون دينه . وكان غاية الله ، ملاحظاتي كل

عمل نصيبه في الدار الآخرة، ومركزه يوم القيامة. وذلك روح التربية الدينية. وما استفادوا هذا الروح، ولا شملهم تلك التربية إلا لانهم رغبوا في الاهتداء بالقرآن، وكانت آيات القرآن المتعلقة تلك الامور من الوضوح والجلالة بحيث لا تخفى على أحد، وكان القرآن بين ايديهم جميعاً لانه قانون الحياة. وواجب التربية يقضى على كل فرد أن يعرف من قانون الحياة ما يستطيع به تأدية واجبه

فقد ورد في الحديث « طاب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وجملة الشريعة تقضى أن كل مكلف عليه أن يعلم ما كلف به، حتى يؤديه على وجهه. من أجل ذلك فرض الاسلام على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم القدر الذي يخرج به من عهدة التكليف، وبذلك كان المسلمون اسبق الامم الى تقرير التعليم الاجباري. وكان اجباريا لان الدين أمر به، ولان الحكومة الاسلامية مطلوبة بتنفيذ هذا الامر، ولان كل مسلم مطالب بأن يعد نفسه واولاده لتنفيذ هذا الامر، وكان القرآن هو وحده المأمور للجميع وقدوة الكل.

لان ما فيه من الاوامر، وخاصة ما تعلق منها بالاخلاق، لا يحتاج الى أى معلم . وقد تكفلت السنة الشريفة ببيان آيات الاحكام، ونقل هذا النوع بطريق التواتر، فكان علمه من نوع علم السكتاب فى الوصوح والجللاء وما أمر الناس بسؤال أهل الذكر الا فى المسائل الخفية التى تحتاج الى قوة استنباط تفوق قوة العامة . لذلك كان الاهتداء بالقرآن قاعدة التربية الاسلامية فى القرون الاولى ، ومضى القرن الاول والثانى وليس لاقرآن تفسير، لانهم كانوا يعلمون حذم احتية هم الى شرح أو تفسير ، ولما كانوا يخشونه من فتح باب الاختلاف فى الشرح والتأويل ، فاقصروا على نسوسه واستغنوا بهدايته وهذه آية منة "رسول صلى الله

عليه وسلم" فيها محتاج الى ايجازة شريفة امدية اشعرية

قال ابن كثير فى "باب التفسير" من منة ٧١١ جزء

في تفسيره :

باب من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من منة ٧١١ جزء

باب من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من منة ٧١١ جزء

كذلك عشرة أعوام وأشهرًا والمؤمنون كلهم لا اختلاف بينهم في شيء، بل ملة واحدة، ومقالة واحدة. ثم ولي عثمان فزادت الفتوح واتسع الامر، فلو رام أحد احصاء مصاحف أهل الاسلام ما قدر،

من هنا يتضح لنا أن كل مسلم كان مطالبًا بالنظر في القرآن والاهتداء بما فيه. ولذا قرآن في هداية النفوس تأثير لا يمكن لغيره أن يفنى غناه أو ينفع بفعله لانه كتاب الله، ولانه في نهاية الوضوح، ولانه يرى من لوازم الكتب البشرية من الاختلاف والتناقض والنقص والسهو وعدم الاحاطة بالامور. وشهدان ما بين الوحي الالهي والتفكير البشري

أدرك المسلمون في صدر الاسلام هذا المعنى فسلموا نفوسهم للقرآن يتصرف فيها بالتركية، وتعليم الحكمة بحيون ما أحياه ويميتون ما أماته. كل منهم على بصيرة من أمره وعلى علم بما يفعل وبما يترك. وهذا هو السر في حياة الامة العربية، وهي علامة الآية: **لنذهب للمتفرق الضال**

البعيد عن علم سنن الحياة



للمطبوعات في هذا العصر الحاضر تأثير عجيب في نهضة
المدنية الحديثة . وكان للقرآن في صدر الاسلام كل الاثر
في نهضة الامة الاسلامية ، يتدارسه كل مسلم ، ويهتدى به
كل مؤمن ، ويسير في الحياة على مقتضاه كل موحد . وعو
في ذاته حق وهداية وصراط مستقيم . اهتموا به فهداهم للتي
هي أفوم . ولو أن المسلمين في المصور التي تلت الصدر .
الاول جعلوه وحده قانونهم في الحياة لما نكبوا تلك النكبة
ولما تمزقت وحدتهم هذا التمزق الشائن الخجل

ما الذي استفاده المسلمون من التفسير التي وضعا
التأخرين على كتاب الله ؟ هل ما فيه من آيات الاخلاق
وما به من قواعد الحياة يحتاج الى شرح وايضاح ؟ أعربوه ؛
وتقلوا في الاعراب جميع ما قاله البصريون والكوفيون
فماذا كانت النتيجة ؟ هل زادوا في ايضاحه ، أم صرفوا القارىء
عن النظر فيه ؟ طبقوا عليه علوم البلاغة من معاني وبيان

وبديع ، فأتروا مجازاً عقلياً أو لغوياً الا تكلموا فيه ، ولا
استعارة على اختلاف أنواعها الا بحثوها وذكروا مذاهب
البيانين فيها. تكلموا في الفصل والوصل وفي الكناية وفي
الجناس وطبقوا سائر مادون في هذه العارم على آياته السكرية
فإذا كانت النتيجة ؟

هل أناروا معالنه فزادت هداية الناس به ، أم صرفوا
القارىء وشغلوه بمباحث تم الكلام عليها في مواضعها ، وانهى
البحث حولها في أما كذا ؟ وما كان الغرض من تدوينها
الا إيجاد ملكة صناعية لمن يريد فهم القرآن تقوم مقام
ملكة العرب الطبيعية حتى اذا ما أراد النظر في القرآن
كان له ملكة الملكة ما يستطيع به فهم بلاغة القرآن
على وجهه ؟

فقد اتفقوا على ان هذه الملكة لا تصح لها الاكتفاء ولا
الاعتماد على غيرها لانه لا يمكن ان يكون لها روح طبيعية
تدرك المعاني وتفهّمها وتبينها وتشرحها وتزكّيها
وتزكّيها وتزكّيها وتزكّيها وتزكّيها وتزكّيها وتزكّيها

طبقوا عليه آراء المتكلمين ومباحثهم، فهل زادوا أدلته
وضوحاً وبراهينه جلاءً، أم شغلوا الناظر فيه عن الدلائل
السهلة الواضحة، والبراهين الفطرية الموضوعة لمعوم الأمة
واوجدوا أمامه مباحث تفضل به في انظار وهمية، وفروض
واشكالات تبلغ من اختلاف أصحابها فيها، إذ تضارب قول
الشخص الواحد منهم، واختلاف رأيه في المسألة الواحدة؛
فعرضوا في تلك المباحث لتحديد طبائع الوجود، ومهايا
الأمور الغيبية، وتناولوا البحث في ذات الله وفي صفاته،
والبحث في حقيقة الروح والملك وسائر ما استأثر الله بعلمه
من أمور الغيب التي نهى البشر عن الخوض فيها. ولولا
الرغبة في احلال الهداية البشرية محل هداية الوحي لما انكب
المسلمون تلك النكبة، ولما ذكروا تلك المباحث في تفسير
كتاب الله !!

القرآن والقصاص

في القرآن بآيات متعاقبة قصص الأبياء، وفيه تذكير
القصاص تعميماً لهداية البشر التي استأثر الله بعلمه !!

سبقَت نزول القرآن . فيها أخطر الانقلابات التي مرت على الجنس البشرى ، فيها الانقلابات الدينية التي يتغير بها وجه الحياة في الجزء الذي تتناوله الدعوة ويشمله الدين المدعو اليه ، فيها مقاومة الحق للباطل ، واستبسال الباطل في الدفاع ، وفوز الحق عليه في النهاية فوزاً تتجلى فيه مالاصفات الفاضلة من التأثير في مجرى الحوادث . في تلك القصص يمان ماللدعوة الى الحق من التأثير ، ومالثبات الداعي من التأثير في نجاح دعوته ، وما للاعتماد على الله بعد بذل كل ما في الوسم من الاثر في نجاح الداعين الى الحق ، في تلك القصص تشابه قلوب الجبابرة وتائل دعاويهم ، وتقارب عواقب أمورهم . وفيها تظهر الادلة البينة على ماله من حكمة ، وماله من رحمة . وما عده على الحق من غيرة . فيها البراهين التاريخية 'حية على وجوده وعلى قدرته وعلى وحدانيته وعلى صدق رسنه وعلى نصر الحق ، وان كثر أعداؤه ، وفوز فكرة الخير ، وان قل ملها من أعوان وأنصار . فيما كان ذلك و كثر منه بأسلوب واضح وألفاظ

لا يحتاج الى شرح أو تفسير ولقد ذكر القرآن أكثر تلك القصص بأساليب مختلفة من الطول والقصر ليكون من مجموع ما ذكره ما يفي عن الحاجة الى الشرح والبيان ، كما أن في ذلك تربية للمسكة الانعاط والاعتبار ، والتربية تحتاج الى تنوع الذكر ، والتنوع غير التكرار . وأهم شيء يريد به القرآن من ذكر تلك القصص هو تربية الرعماء والجماعات الداعية الى الخير ، وتثبيت ملكة الاعتبار والانعاط في نفوس الامة ليكون لها من النظر في الماضي عبرة ، ومن التأمل في وقائع الغابرین عظة

ماذا عمل متاخرو للفسرين في تلك الآيات ؟ هل تركوها على وضوحها لينتفع بها الناس . وهل أدركوا ما يراد منها فدعوا الى الاعتبار بها وتركوا الكتابة والتعليق عليها ؟ لم يفعلوا شيئاً من ذلك . فعمدوا الى الاسرائيليات المكذوبة فجعلوها تفسيراً لتلك الآيات الكريمة . وبما يتهم نقلوا من الروايات الاسرائيلية ما هو معقول في ذاته ، أو ماله صلة بفرض القرآن ، بل ذكروا ، كما يقول ابن خلدون ، ما رواه

عامة أهل الكتاب القاطنين ببلاد الحجاز ، فكان ماقلوه خلاصة المفتريات التي يرويها أهل الكتاب !! ومن للغريب المدهش أنك تقرأ في الكتب العلمية أنهم أجمعوا على رفض الاسرائيليات ، وقد بالغوا في ذلك حتي جعلوا لفظة (اسرائيليات) علامة على كذب الحديث واقتراء الرواية . ولكن متأخري المفسرين ، عفا الله عنهم ، تقلوا خرافات الجملة من بني اسرائيل في تفسير كتاب الله وطبقوا عليها معاني التنزيل ، فتركوا للمسلمين أقبح ميراث ، وألعن تركه علمية . ولقد انزعج البشرون بتلك السقطة أيما انزعاج ، وكان لهم منها معين لا ينضب ومودد لا تعرف له نهاية ان ما قلنا رأيناه في تفسير تلك الآيات قد حال بيننا وبينه لانه لا يحتاج به ، بل أوجد العلماء مشكلة جديدة ، هي انهم لم يجدوا في تلك الآيات لارة في شأن أبيهم حتى تبيح لهم تركه من حقهم ولعلمهم انهم لم يتركوا تركه من حقهم بل تركوه من حقك .

مفتري، واختلاق بحرم ثقله وتمنع روايته . ولكن ما الحيلة
وقد اختل نظام التأليف كما اختل شأن الهداية ! وليتنا اذ
فقدنا الاهتداء بكتاب الله لم نفقد الاعتداء بالعقل !!
ولكننا فقدنا الاثنين معاً ! وليتنا اذ فقدناها خلصت عقولنا
لشؤون الحياة ، لكننا فقدناها فقداً انتهى بنا الى خلق
مشاكل لاهي مفهومة ولاهي افعى . تذكر في كل كتاب ،
وتقرأ في كل مصنف ، كما تقرأ فاتحة الكتاب في الصلاة !
فلا نحن اهتدينا الى حلها ، ولا هي في ذاتها قابلة للحل .
لان حلها في عيها ، والقوم يتشبثون بها . على حين انهم
فرطوا في كل شيء : فرطوا في شؤون الدين ، ونرطوا في
شؤون الدنيا ، ثم استمسكوا تلك البعثة وحدها فقههم
يركعون اوترايتها تركبها ، ايها ذهبت معهم ذاب سرور
المسيح ، راءه يورثهم .

هذا هو السر في
الذين يتركون
الدين ويتركون
الدنيا ويتركون
المسيح

أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وكنت بصيراً ؟ قال كذلك
 أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى . ان القرآن
 لا يزال بأيدي المسلمين ، وقد جربوا نتيجة الاهتداء به في
 الصدر الاول وجربوا عاقبة الانحراف عنه في القرون المتأخرة ،
 فما الذي عولوا على سلوكه في الوقت الحاضر ؟ هل يريدون
 احياءه كما أحياء السلف ، أو إمامته كما فعل الخلف ؟

مضى القرن الاول والثاني وليس بأيدي المسلمين
 تفسير واحد ، مع ان جميع البلاد الاسلامية قد تم فتحها في
 ذلك العصر ، وكل اختلاط الشعوب الاسلامية بعضها ببعض ،
 وكان للجميع قانون واحد في التريية : هو القرآن ، جعلوه مدار
 حياتهم ، فداروا حوله وحده . فهل يمكن ان يقال بعد ذلك
 ان الاهتداء بالقرآن ، يتوقف على تفسير أو شرح ؟ وماذا
 عملت تلك المجتدات التي تفوق الحصر في هداية المسلمين ؟
 لقد اختلف أمر التريية في البيوت وفي المجتمعات ، واختلف
 أمر التريية الخلقية ، واختلف نظام الحكومة الاسلامية ،
 وضعت شوكتها وزالت هيبتها ، المسلمون هم المسلمون

والقرآن هو القرآن ، فالذي أوجد تلك الحالة السيئة ؟
 أيمكن أن يقال إن لما وضعه متأخرو المفسرين لكتاب الله
 في التفسير من المباحث والروايات دخلا في إيجاد تلك الحالة ،
 وفي دوامها ، لأنهم اوجدوا للناظر في القرآن شواغل تحول
 بينه وبين الاهتداء فيه ، على حين انه يظن انه مهتد بالنظر
 في تلك المباحث والروايات !

أيمكن أن يقال : ان تلك التفسيرات معنى الاهتداء
 بالقرآن الى الاهتداء بما فيها من ، فأفهموا المسلمين انهم
 يهتدون بالقرآن وفي الحقيقة هم لا يهتدون الا بتلك
 التفسيرات . لا ريب ان تلك التفسيرات سير عليه اتقع التبعة وتلقى
 المسؤولية فيما أصاب المسلمين في العصور اللاحقة من الفجائع
 والمصائب ، كما ان تركها يتوقف عليه نجاح النهضة الحاضرة
 فهم القرآن

على السامع اليوم أن يحجب . وتعلم علوم اللغة العربية
 فلذا تم لهم ذلك جهل القرآن فتركوا سيرهم في الحياة .
 ولا يستثنى من ذلك إلا آيات الاحكام وحدها ، فمن رتبها

بالسنة ، وارتباط السنة بها ، يجعل ادراكها من خصائص
مجتهدى الامة وحدهم ، أما ما يتعلق بالمقائد والاخلاق
وسنن الوجود فلي كل مسلم أن يهتدى فيه بهدى القرآن
وحده ، وأى حاجة بالمسلمين الى ما كتب في التفسير اذا
ما أرادوا أن يصلوا بقوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعاً
ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » ؟ ان فهم تلك الآية
واعتداهم بها لا يتوقف على اجراء الاستعارة في لفظ الحبل
وما يرتبط بذلك الاجراء من المباحث ، وتقل المذاهب
في الاستعارة ، واجراء عدة استعارات في الآية

يمكن للمسلمين أن يفهموا قوله تعالى « يا أيها الذين
آمنوا أطيعوا الله ورسوله . ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم » بدون تعرض الى ما في الآية من المباحث البيانية
حقاً يمكن فهم تلك الآيات والانتفاع بها اذا خلى بين
النفس وبين ادراكه الى هذا لا يكره الا اذا وضع
الامر في المصداق . والله وسليم له نفسه . أن : أمر كذا

مع القرآن غيره توزعت قوى الفهم ، وانتقل الانسان من مبحث الى مبحث ، ودخل في طور الجدل والمقصود انما هو العمل وقلمأ أدى الجدل الى العمل . من أجل ذلك يجب أن يترك المسلم نفسه للقرآن وحده اذا أراد أن يجعله قانونا للحياة

الجهاد والقرآن

أى حاجة الى التفسير اذا ما أراد المسلمون أن يعملوا بقواه تعالى « وأعدوا لهم ، ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم » ؟

وهل مثل هذا البيان يحتاج الى تفسير ؟ وأي أمة لها في الحياة مثل تلك القاعدة . في بيانها ووضوحها ، ثم ترك العمل بها في الوجود الخارجي ، وتهتم باغرائها واجراء الاستعارات فيها ، ونقل الآراء الخاطئة في تأويلها ؟ هل اشتغل عمر ، أبوبكر وعثمان ردا بتطبيقها على شؤون الحياة ، أم تعابيتها ، دور ، راء ، ور ، ور ، ور ، والاخفش في النحو ونصرف ، واستخرجت ذاتها ، تبين من الآية

لها بالحياة ، ولا علاقة لها بروح القاعدة !!

ان عظمة انكلترا ما كانت الا من اليوم الذى قررت فيه أن يكون لها أسطول يفوق أسطول دولتين من دول أوروبا العظمى . ولقد قال بتمان هلفج في مذكراته : « لقد كنا نتباحث في انشاء أسطول بحرى ، وكان ذلك موضع أخذ ورد لدينا ، في الوقت الذى كانت تعتقد فيه انجلترا أن تفوقها في البحر مسألة حياة أو موت » !

ومن يتدبر ماورد في القرآن من الآيات الآمرة بأعداد القوة الحربية يدرك ادراكا لا ريب فيه أن التفوق في القوة في نظر الاسلام مسألة حياة أو موت : « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة »

واذا كان القرآن يقرر أن مسألة القوة مسألة حياة أو موت ، فهو يقرر كذلك أن على المسلمين أن يعدوا لعدوهم ما استطاعوا من القوة ، ويبين أنهم لا يعدون قائمين بهذا الأمر الا اذا أعدوا ، اى رهب العدو الظاهر الذى يعلمونه

والعدو الخفي الذي لا يعلمونه . أى أنهم لا يخرجون من
عهدة الامر الا اذا أعدوا قوة لا يمكن التغلب عليها بحال .
من أجل ذلك أمرهم بأن يكونوا جميعاً على أهبة واستعداد :
« انقروا خفاة وتقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في
سبيل الله » ولم يستثن الا من ذكره في قوله : « ليس على
الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج اذا نصحوا لله ورسوله ، وبالقيد الاخير أشرك هذا
النوع المستثنى في الجهاد السياسى ، لانه لا يرتفع عنه الحرج
والانهم الا اذا نصح لله ورسوله . وذلك بأن يؤدى خدمة
سياسية ، أو يقوم بوظيفة النشر أو البر وباجنداء لغة أوروبا
السياسية »

ماذا على المسلمين لو جعلوا هذه الايات قاعدة حياتهم
وأنفعلوا ما كتبته متأخرو المفسرين ، من أن الامر لا وجوب
أو الندب ، ومن أن الاستطاعة قبل الفعل أو معه ، ثم
تحديد ماهية الاستطاعة ؟ ومن الكلام في أن : « به » يفرض
عين أو فرض كناية ، وما الى ذلك من المباحث التى لا تتعدد

الامم ذكرها، والتشويش بها على قانون حياتها العام ؛ ولقد قام المسلمون بذلك الغرض قبل أن تظهر تلك المباحث، ثم أهملوه بعد ظهورها، لما لتلك المباحث من التأثير في الاعتقاد بأن مسألة القوة، مسألة حياة أو موت . والعقيدة تحتاج الى تربية وتكوين وتنمية . لا الى تشويش واشكيت . ولما اجتمع الاعتقاد والجدل في نفس واحدة

أى حاجة الى التفسير في قوله تعالى : « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال... الآية » فقد عمل بها المسلمون يوم فتحوا الدنيا ، وملكوا ناصية الامم ، قبل أن توجد المباحث التى يوردها متأخرو المفسرين ، فى تفسير تلك الآية ، كبعضهم فى التحريض من جهة اشتقاقه . ومن جهة معانيه اللغوية ، وكبعضهم فى الاثر : هل هو للوجوب أم للندب ، وهل هو خاص . لنبى أو هو من الاوامر العامة . الخ ما أظن به فى تفسير تلك الآية . ولو أنهم عملوا بها وتركوا البحث فيها على سناحيهم الممررة ، لما فقد بين المسلمين ذلك نروح اسرارهم الذى دبروه . فحرض على القتال

بين سلفهم في الصدر الاول . ونما دوامه وازياد للنشاط فيه

أمر القرآن أمير المؤمنين بأن يحرضهم على القتال ، وترك بيان كيفية ذلك التحريض ، ليكون للمحرض كامل الحرية في ابتكار ما يشاء من الاساليب ، واختراع ما ترشد اليه التجارب من الكيفيات . شأنه في الاوامر التي يكون الزمان وحده هو السكفيل ببيان كيفيتها ، وتوضيح أنواعها كالامر باعداد القوة ، والامر بالتعبئة العامة في قوله : « انقروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » . وكالامر بالاحسان بذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . والى ذلك أشار الرسول بقوله : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » الحديث . فتمت بين علماء السنة أن سمتان السنن الحسنة الذي حرض عليه الرسول لا يكون إلا شئ الارار التي تركه للشارع بيان أنواعها وضروبها وكيفيتها رضى ذوى الرؤى ، واختبار أدلى التجارب . وبين هذا الباب قوله تعالى :

« يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال » فإن وضع نظام خاص لتحريض المؤمنين على القتال لا يمكن أن نجى به الشريعة التي تصلح لكل زمان ومكان ، بل لابد أن تترك تحديد النظام لمقتضيات الزمن ، وتطورات الاحوال الاجتماعية . من أجل ذلك جاء بالتحريض على تلك الصورة وترك نظامه لمقتضيات الزمان والمكان . وقد فهم المسلمون ذلك فآمنوا بأن في القسران أمراً بتحريض المؤمنين على القتال ، وعلموا أنهم مكلفون بامتثال هذا الأمر ، واستخلصوا من عمومات الشريعة أن عليهم أن يبذلوا ما في وسعهم لتنظيم أمر التحريض ، حتى يقع امتثال الأمر على أتم ما يمكن أن يكون .

فكان الامام يحرض في خطبه السياسية ، وفي خطبه على المنابر يوم الجمعة . وكان يأمر نوابه بأن يحتذوا على مثاله في تحريض المؤمنين على القتال ، فكانت المنابر الاسلامية تذبذب منها سواقد الحمية ، وتشمل فيها نار التحريض . وكان الخطباء تنبئ في آذانهم بهذا الواجب ، وكان لا وعاظ عذابة

بهذا الامر . وكان للمدارس وحلفات الدروس ، أيا كانت ، اتجاه لتنمية هذا الغرض ، وتتميم هذا المقصد ، وكان للوالد مع بنيه ، ولرئيس العشيرة مع عشيرته ، ولكل ذى نفوذ مع جماعته ، تدارس لهذا الامر ، ورغبة فى انعاش الروح الحربى وتنمية فكرة التضحية ، والترغيب فى الاستشهاد فى سبيل الله ، وكان أهم وسيلة تتخذ لتعريض المؤمنين على القتال هى قراءة ما ورد فى القرآن من الايات المتعلقة بالحث على الجهاد ، والتعريض على الانفاق فى سبيل الله ، وتحجيب الاستشهاد الى نفوس المؤمنين ، وبيان ما يترتب على اعلاء كلمة الله من الفلاح فى الدنيا والسعادة فى الآخرة . قرأ المؤمنون ما فى القرآن من الاوامر والوصايا والوعود والوعيد والترغيب والرهيب المتعلقة بالجهاد ، والدعوة لاعلاء كلمة الله ، فكان لهم من القرآن معين من التعريض لا ينفب ، فاستطاعوا الاحتفاظا بالروح الحربى . وبهذا التضحية والاستشهاد فى سبيل الله ، ولولا انهم عرفوا قادة التعريض على القتال فى تنمية روحهم الحربى ، وأدركوا علاقة المجاهدين بالدعوة

الاسلامية ، وبصيانة الملة ، وفهموا وسائله المؤدية اليه، وعملوا بما أمروا به من ابلاغ نظام التحريض الى أقصى درجة ممكنة ، لولا ذلك حيمه لما تم للمسلمين في تلك المدة القليلة من الفتح والغلبة والاتصار على جميع الملل ما لم يعد له نظير في أى دور من أدوار التاريخ العامة

للام الحرية اليوم نظام واسع النطاق لتحرير قوهم
على القتال . وساءدهم على ذلك ما أوجدته المدنية الحديثة
من المطامع ، وسائل النقل السريعة ، ووسائل نقل الاخبار
على عجل ، واتمة ان نظام الشكات الحرية والمدارس العسكرية
والرغبة في تقديم متطلباته وزارة الحرية على سائر ما تعالیه
الوزارات الاخرى . رايكته مع تلك الانظمة وانزايها
لم يصدر كبر رايكته مع رايكته على ما وصل اليها سلمون
في المصير . ١٨٧٠ في النجر من حبه ، تدنيته .
والمالية . رايكته . رايكته . رايكته . رايكته . رايكته .
رأي . رايكته . رايكته . رايكته . رايكته . رايكته .
تمت . رايكته . رايكته . رايكته . رايكته . رايكته .

بِالْجِهَادِ وَالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا يَزِيدُ عَمَّا فِي سُورَتِي الْإِنْقَالِ
وَالْتَوْبَةِ

ولقد انتفع المسلمون بتلك الآيات يوم أرادوا أن
يقرأوا القرآن ليعملوا بما ورد فيه ، يوم اعتبروا ما ورد في
الجهاد من الآيات قانونا يجب العمل به لاجدول تطبق
عليها المذاهب النعوية والصرفية والبيانية والكلامية ، أفصى
ما يفهم منها فهم ما كتب الكاتيون عليها . ان تم ذلك فقد
انتهت مهمة المفسر وقضيت حاجة الراغب في مطالعة التفسير
أما العمل بما في تلك الآيات ، أو الحث عليه ، أو دعوة
المؤمنين الى احيائه ، أو مطالبة الحكومات الاسلامية
تنفيذ ما جاء في تلك الآيات ، فامر قد انسيه تاريخ المسلمين
بعد انقضاء الصدر الاول

قوة تأثير القرآن

القرآن كلام الله . وبه تأثير خاص في تربية الملوكات
وتكوين الاخلاق وتثبيت العقائد . علم المسلمون ذلك في
صدر الاسلام . فوكلوا اليه وحده تربية اخلاقهم وتكوين

نعمها الاتهار، ومساكن طيبة في جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين »

أما كان ينبغي أن تترك هذه الآيات بدون تفسير ولا تعليق ، ثم تسلم إليها نفوس المسلمين لتفعل فيها ما فعلته بأسلافهم في الصدر الاول ؟

من الكلام ما اذا سمعته شعرت بأن فيه روحاً ملك عليك أسر نفسك ، وهذا النوع من الكلام لا يغنى غيره غناه . وإن حاولت تفسيره أو يئانه بعبارة أخرى فقد جنيت عليه شر جنابة ، لأنك تكون قد فصلت روحه عن بدنه ، فأصبح كلاماً خالياً من التأثير ، مجرداً من الروح الذي كان يملك عليك أمر نفسك ، وأضحي السامع في الحقيقة لا يسمع الا كلام المفسر ، ولا يتأثر الا بما جاء فيه وحده . ذلك شأن خطب علي رضي الله عنه في نهج البلاغة ، فأنت لو حاولت تفسيره فلا بد أن يذهب إلى الأمر إلى أن تنقل للناس أما ما لا يمكن نقله

من روحها ، وهو الجزء المؤثر منها ، فسوف يخلو كلامك
منه لاحالة

واذا كان هذا محسوساً في كلام البشر ، وغير منازع فيه
بين بني آدم ، فإن الشأن في كلام الله أجل وأرفع . ولو أن طريق
التليم والتصنيف عندنا كانت تترك وقتاً يسمح بأن يكون
لناظر في القرآن ، بعد أن يفهم ويبحث جميع ما كتب عليه
من الشروح والحواشي ، متسع من الوقت يخلو فيه بنفسه ،
فيترك تلك الابحاث جانباً ، وينظر في القرآن نظرة خاصة
يدرك فيها روح الكتاب وعناه ، لمان الخطب ، وخف
وقع المصيبة . بيد أن المفسر والمعلم والتعلم . كل أولئك
يعتقدون أنهم متى أنهم أفهم ما كتب به الكتابيون على القرآن
من تلك المباحث ، فقد أسهوا من مهمة التفسير ، وخرجوا
من عهدة الامر بتعليم القرآن وتفهيمه للناس ، وتبليغ ما جاء
به الى الامة . والا فلماذا ضعف تأثير الكتاب في القرون
الاحيرة مع كثرة التليم وكثرة تراكيب عليه ، وكثرة
علااب 'مهم المديني في ابي لا - مسددي ، وورقة ١٥٠ ،

على البشر اهلهم التفكير في شأنه ، وما الى ذلك مما يبين
غرض القرآن ، ويحدد وجهته. ولكن متأخرى المفسرين
عفا الله عنهم ، اغفلوا غرض القرآن ، واعتبروه كما نهلم يكن ،
واتقسموا في تفسير تلك الآيات قسمين : قسم يريد أن
يبعث في طبائع تلك الاشياء ، ومهايا تلك الامور ، من
طريق النقل ، والآخر يريد البعث من طريق العلوم المتعارفة
في عصره

عمد القسم الاول الى الاسرائيليات المتعلقة بيده
الخلابة ، وأسرار الوجود ، وكيفية خلق الكائنات ، فنقلها
من أولها الى آخرها ، على رغم ما جاء في السنة من النهي
عن الرواية عن أهل الكتاب نهيا صريحاً قطعاً ، وعلى الرغم
من نهى القرآن عن القول بغير علم ، وعلى الرغم من نهيه على
الخصوص عن البعث في حقائق الاشياء لمعرفة ماهياتها ،
والوقوف على ما لها من اجناس وفصول ، لئلا تمسكها على
حسب ما تقرز في المنطق (ما أشهدتهم خالق السموات
والارض ، ولا خلق أنفسهم . رسأ أثرتك عن اروح . قل

الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا . ولا تحف
 ما لبس لك به علم) الى غير ذلك من الآيات التي تبين ان
 العقل البشري لا يستطيع أن يصل الى معرفة الاشياء ، لان
 ما لديه من العلم لا يؤهله لذلك ، فإنه لم يشهد خلق السموات
 والارض . ومتى كان غائبا حين الخلق ، وكانت معارفه مقصورة
 على ما يستفيد بحواسه ، ويمكن استخلاصه من النتائج
 المبنية على المشاهدات والمحسوسات ، فمن المستحيل عليه أن
 يقف على حقائق الاشياء . وإذا كان هذا شأن العقل ، وكان
 القرآن نفسه مؤيدا لتلك الحقيقة ، وناهيا عن التطلع لمعرفة
 حقائق الاشياء ، فقد انسد على الباحث طريق العلم من جهة
 العقل ، وطريق الوصول من جهة النقل ، وأعمى لامناص له
 من تحويل بحثه الى الجهات النافعة في الدين والدنيا أما العجمات
 النافعة في الدنيا فهي معرفة الكميات والكيفيات التي
 هدت اليها التجارب ، والتي يمكن أن تمنح الناس في أمور
 المعاش ، وشؤون الحياة . وقد رسمت العلوم حينئذ حصرت
 بحثها في تلك الدائرة التي أسمى علماء الفضايل ودرستها الفجدة ،

وأما الوجبات النافعة في الدين فهي الاعتبار بما فيها من
الدلائل الموصلة الى العلم بأن للسكون صانعا عليا ، ومدبرا
حكما ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير

ولو أن من عني بالنقل من المفسرين اهتدى الى الغرض
الذي يريد الترائن ، وراعى ما نهت عنه السنة من الرواية
عن أهل الكتاب ، لما حثى تفسيره بخرافات الاسرائيليين
المتعلقة ببيان العناصر التي تتكون منها السماء ، وبيان حجوم
السموات ، وبيان طبيعة الارض وعناصرها ، وكيفية خلقها ،
وما الى ذلك مما يدل على أن هؤلاء الناقلين قد شهدوا خلق
السموات والارض ، وان كان الله يقول في كتابه « ما شهدتهم
خلق السموات والارض » . ترى هؤلاء المفسرين تقولوا
غريبة في ماهية السحاب ، ارضاء والبرق ، وكيفية خالقها ،
ولهم روايات غريبة في الماع وفي السحاب والحداد ، كأنهم
يعلمون نقيب الله ، لا غير ، بالآيات تقاوا عن الله
أشياء الكبار ، لم يسمروا قدامهم ، كما تقولون في تبارك
في الآيات ، بل في الآيات من الله في الآيات

القاطنين بالحجاز . وما رأى الناس قوماً أصنعوا كتابهم كما
أصنعه هذا القسم الذي عني بنقل جميع ما افتراه أهل
الكتاب على الله وأنبيائه وكتبه من الآثار والروايات التي
لا يقبلها العقل ، ولا يؤيدها النقل ، ولا ترتبط بفرض
القرآن ، ولا تنفع في دين ولا دنيا !

ولو أنهم جمعوها على حدة . ونشروها بين الناس . لما
نالت تلك الخطوة التي نالتها يوم رويت على أنها تفسير
لكتاب الله . يذكر المفسر من هؤلاء القوم الآية من
كتاب الله ، ثم يسوق ما يشاء من الآراء والبيانات على أنه
تفسير وبيان لمراد الله . فأى علاقة بين ما ينطق به القرآن
المتنق ول بالنوازل ، وبين خبث أمر كثير مكذوب ، رويه
قوم في جزيرة العرب ، و جهلة أهل الكتاب و أممهم ؟
وإذا كان تهمير الله - أي - حذره عليه الله - أي -
فكيف يكون ذلك ؟ لا ريب في أن الله - أي -
وعلى ما رآه حجة ، وبرهان .
لذلك كتب ، بقوله على نبي - أي -

(ان هذا القراءن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) فسلب هؤلاء المفسرون منه تلك الخاصة ، وجعلوا خرافات أهل الكتاب حكمة عليه ، وجعلوه خاصنا لما تقضى به ، فما فيها هو الذى يحدد معنى الآية ، كان لم يكن للقرآن لغة ولا قواعد ، وكان لم يكن للإسلام أصول ولا نوااميس ؛ ولقد انتفع المبشرون بتلك الغلطات الفاحشة انتفاعاً يثن منه المسلمون اليوم ، ويألمون أشد الألم . ولو وقف متأخرو المفسرين عندما حددت لهم الشريعة ، وتركوا الروايات الاسرائيلية ، لما استطاع المبشرون أن يحددوا فى القرآن مضمناً لافهم ، أو مطعناً لطاعن

بأما القسم الذى قد جعله قواعد المؤلف فى عصره أساساً ، وحمل كلام الله عليها ولهم فى ذلك صنيع يأباه العلم والدين معا . وبعد أظهرت الأيام خطأهم فيما ذهبوا إليه من إخضاع نص القرآن للمعارف التى كانت متعارفة فى أزمانهم ؛ لأن العلم اليوم قد برهن على نسيان كثير من

تلك القواعد والمعارف . ولو أنهم أدركوا أن للعلوم غرضاً
يخالف غرض القرآن ، وأن للقرآن غرضاً لا صلة له بغرض
العلوم ، لما وقعوا في تلك المهاوى المهلكة

تبحث العلوم الطبيعية عن الكميات والكيفيات التي
ينالها البحث والاختبار ، وما عدا ذلك فهو خارج عن حدود
وظائفها . أما القرآن فقد علمت غرضه وانجازه . ويمكن
المسلم أن ينتفع بكل العلوم الطبيعية بدون أن يخضع لنصوص
القرآن لها ، كما يمكنه أن يهتدى بالقرآن دون أن يتعرض
لحدود العلوم الطبيعية . ولو تأملت ما كتبه المفسرون في
قوله تعالى (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدتها تغرب في
عين حمة ، ووجد عندها قوماً ، أمرت العجب من كل ناحية
إذ أن الآية لا تحتاج إلى شرح ، لأنها في نهاية التوضوح
وغاية البيان

تقول العرب طلعت الشمس على كذا ، وغربت عن
كذا ، قال الله في كتابه (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وحدتها
تطلع على قوم) وقال (وري الشمس إذا طلعت زاورة عن

كفهم ذات اليمين ، واذا غربت تعرضهم ذات الشمال) أى
طلعت عليهم وغربت عنهم، فهذا كذلك يكون معنى الآية:
حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة. كما
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا. وحروف
الجر ينوب بعضها عن بعض ، (ففى) هنا نابت مناب (عن)
كما نابت عن (على) فى قوله تعالى ولا صلبينكم فى جذوع النخل،
وهذا امر معروف ومفرد فى لسان العرب. أما مطلع الشمس
ومغربها فاستبان الان مـرو فان ، قال الشاعر

أطلع الشمس، تبغى أن تؤم بنا

فقلت كلا ولكن مطلع الجود

وعلى هذا فمضى الآية. حتى اذا بلغ ذى القرنين نهاية
المغرب، من المشرق ذلك الوقت جهة المغرب، وجد
الشمس تنزل من بين حمئة. ومقصود القرائن أن
يبلغ المظلة التى رعى البراءة القرنين ثم بلغ
على ان من المشرق الى المغرب، الشمس
وتراعى كل حين الى ان يمشى فيها بالبحر

ورحمته للبشر . وشفقته على الانسانية ، واقامته معالم العدل
ورغبته في اعطاء كل نبي حق حقه . الى آخر ما تضمنته
قصته المشهورة . ولا ريب أن ما ذكره من الآثار
والروايات المتعلقة بالمكان الذي تغرب فيه الشمس لا يحتاج
اليه القارئ لكتاب الله ، متي فهم أن (في) بمعنى (عن) بل
لا يخطر له ببال ، في ذلك الوقت ، المكان الذي تغرب فيه
الشمس ، لان هذا ليس داخلا في قصة نبي القرنيز ، كما لم
يدخل فيها المكان الذي تطلع عليه في نهاية المشرق ، والمكان
الذي تغيب عنه في نهاية المغرب

وكذلك الشأن فيما حاول أهل 'عسم' الثاني من 'مفسر'
أن يحمله عليه نصوص الآية على حسره ما كان معروفا من
قراء 'علم' المريعة في ذلك الوقت . فاتهم 'أرجس' في 'نائمة'
عن (عن) 'المنظر' 'المكان' 'الذي' 'تغرب' 'الشمس'
والأرجس 'والتك' 'الشمس' 'في' 'المنظر' 'المكان' 'الذي' 'تغرب' 'الشمس'
والأرجس 'والتك' 'الشمس' 'في' 'المنظر' 'المكان' 'الذي' 'تغرب' 'الشمس'

عليه النصوص . ولو أنهم نظروا الى القرآن فنظر من يرى فيه الكفاية ، وأن له أغراضا يجب أن تصان ، لما امتلأت التفسير بالاسرائيليات الموضوعة ، والتأويلات الخاطئة والاشكالات المفتعلة

ولو أنهم جعلوا القرآن أصلا مستقلا بنفسه وتركوا الروايات الاسرائيلية المكذوبة جانبا ، اسلموا من التأويلات التي تخالف الدين والعقل معا . واعتبر ذلك بما قالوه في تفسير قوله تعالى :

(وسفرنا مع داود الجبال يسبحن والطير - يا جبال أوبي معه والطير - وأثنا له الحديد أن أعمل سابقات وقدر في السرد) فقد ذكر متأخرو المفسرين في تفسير تلك الآية ما وصل اليهم من الروايات التي نقلها جهلة أهل الكتاب القاطنين ببلاد العرب ، فشووها وجه الآية وأثوابا لا يصدر من باقل ، فضلا عن عالم يريد بيان مراد الله . على حين أن الآية ترتبط بالنظر في فهمها عن الروايات الاسرائيلية لما في مما قالوه ، لانها في نهاية الموضوع وغاية

البيان ، فهي تشير الى أن داود قد سخرت له الجبال تسغيـرا
تسنى له فيه استكشاف ما فيها من الناحج والمنافع المادية ،
فكانت معه بهذا للتسخير تسبحن الله وتزهنه عن أن
يكون خلقها عبثا بدون فائدة تعود على الناس في معاشهم ،
وترتبط بهم في مصالحهم . فتسخير الجبال وإلانة الحديد ،
كلاهما كان لداود بمقتضى قواعد مبنية على التجارب . شأن
الصنائع ، وسنة الانتفاع بمخلوقات الله جل شأنه ، وأين هذا
مما قالوه في تفسيرها ؟ سامعهم الله وعفا عنهم !!

القرآن وسنن الوجود

في القرآن آيات ينسب فيها الفعل الى الله ، على معنى ان
سنة هي التي قضت بوجود ذلك الفعل ، وانه ثم على وفق
ما وضع عليه الكون من ربط الاسباب بالمسببات ، والعلل
بالمعلولات

وذلك كقوله تعالى (وسخر ناعم داود الجبال) سبحن .
انا مكننا له في الارض وآتيناه من كل شيء سبيـا ' نافتحنا
لك فتحا مبينا . انا هـ . بناه الرية ' انا شاكر اوا انا كثر يد ا .

يفضل الله من يشاء ويهدي من يشاء والله خالقكم وما تعملون .
 الى غير ذلك من الآيات التي تنسب فيها الافعال الى
 الله ، والمراد انها وجدت في الكون على وفق ما اراده من
 جعل الاسباب مؤدية الى مسبباتها ، وربط المعلولات بعلمها
 ولو أن المفسرين تنبهوا لذلك لما رووا في تفسيرها من الروايات
 ما يدل على ان الله جل شأنه قد فعل تلك الاشياء على
 سبيل المعجزة ، أو على غير قاعدة ، أو على غير اطراد ، وسنة
 مقررة في الاسباب مع مسبباتها . ولما أوردوا من
 الاشكالات ما ينبغي بأن هناك تناقضا بين نسبة الافعال
 الى الله تادة ، والى العبد تارة أخرى ، لان الآيات صريحة
 في أن الله سننا في إيجاد الافعال ، ومن تلك السنن ما يدل على
 أن الافعال وقعت من غير قصد ولا ارادة كعمرات الاشجار
 والنباتات . وإي دللني أنها وقعت مع الاختيار والارادة ،
 كعمرات الانه ان الاختيارية . ولا ريب أن رزقها .
 لا

وبمراعاة هذين الاعتبارين الصادقين يمكن من الآيات التي فيها نسبة الفعل إلى الله ، إلى الآيات التي فيها نسبة الفعل إلى العبد ، من غير أن يخطر ما قالوه بالبال ، أو يهجم بالخاطر ولكن القوم جعلوا مذاهب التكلمين أصلا يجب تطبيق القرآن عليه . ومن هنا جاءت هذه في تلك الاشكالات ، وتبع عنه

ومجملهم الوارثين ، ويمكن لهم في الأرض ، ونرى فرعون
 وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (فانك تجد قولا
 وروايات وناوكلات لا صلة لها بمعاني تلك الايات
 الكريمة ولا صلة لها بما ترمى اليه ، وتشبه نحوه ، من سنن
 الفسدين التي يتبعونها في تحريق الامم ، ومحو الوحدة
 القومية ، وجعل الامة الواحدة شعبا مختلفة ، وأحزابا متخاذة
 واحتشاف طائفة واعلاء أخرى ، واحياء فريق ، وتعذيب
 فريق آخر ، وما الى ذلك مما نراه الان قاعدة السياسة
 الاستعمارية ، وخطة سياسة الاستعمار في استعباد الامم ، بعد
 تحويلها الى أفراد متنافرة ، وشيع متعادية ، وبعد انقضاء عايتها
 القومية ، ومحو أخلاقها الكريمة ، وشيخها الفاضلة ، وبعد
 اضعافها بالتعذيب ، والذبح ، والنفي ، والاضطهاد ، وسائر
 ضروب الافساد في الأرض . ذلك بعض ما تضمنته الآية
 الكريمة ، وفيه من الدلالة على مناهج الفسدين في الأرض
 ما لا يحتاج الى بيان ، أو يفكر الى توضيح على أنه ان كان
 لابد من تفسير تلك المعاني ، ففي تفصيلها وضرر الاممال

في سبيل الخلاص والتحرر من فرعون وقومه ، ما أدى الى
استقلالهم وتحررهم من نير العبودية ، ومهالك الذل ومخاطو
القهر ، وقد أشار القرآن الى ذلك في قوله « وأوحى الى
موسى وأخيه أن تبوءا نقرة ، كما بهر يوتوا واجملوا يوتوا سكر قلة »
« ما كانت يوت نبي ابراهيم بن النبي عمر الله موسى
وهو في انا يوتها قومه لا شدة سياسية قومه . في
أقرب الدارق الخلاص واتجمع قومه في التحرر من كاره
بيوتهم على تلك المنة ، كما يوت موسى وموسى .
بذمها . راي لا يوتها . كما يوتهم والمجمع الذي
تصادموا به . راي لا يوتها . كما يوتهم والمجمع الذي
ان لا يوتهم . كما يوتهم . كما يوتهم . كما يوتهم .
الاربعون . كما يوتهم . كما يوتهم . كما يوتهم .
كبر . كما يوتهم . كما يوتهم . كما يوتهم .
بينهم . كما يوتهم . كما يوتهم . كما يوتهم .
فيهم . كما يوتهم . كما يوتهم . كما يوتهم .

الله فخذوه ، وما خالفه فدعوه) وقد روى البخارى لذلك بابا خاصا سماه (باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ، لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء)

فقال حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا ابراهيم اخبرنا ابن شهاب عن عبيد الله ابن عبد الله ان ابن عباس رضى الله عنهما قال (كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، وكتابكم الذى أنزل على رسول الله عليه وسلم أحدث ، تقرؤنه محضالم يشب ، وقد حدثكم ان أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغروه ، ركتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ والله ما يؤمنوا وجاز ، منهم من أنكم من التمس أنتم عما يكتم !)

في القرآن آيت نهى عن سؤال أهل الكتاب عن شيء ، فو
نظر إليها المتفسرون بحجة من جهة قوله تعالى في باب
الاستعانة بهم في تفسير ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
في أن لا يسألوا عن شيء من أمورهم ، فليس ذلك

غير منظور فيه الى ما في التوراة ، والى ما في التلمود (شرح التوراة) والى ما رواه عامة أهل الكتاب ، وجملة بني اسرائيل من ذلك قوله تعالى (وان من أهل الكتاب الا لمؤمن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) فاعلم انطرب في هذا رأى للفسرير ، وتشبه قولهم في تفسيرها تشبيها كان يمكن تجنبه لو نظر الى ما ورد في القرآن بشأن أهل الكتاب جملة ، ثم ضم كل نظير الى نظيره ، وأضيف كل شيء الى شبيهه ، ثم كان مرجع التفسير الى ذلك الاعتماد على قوله ، والآيات بعضها البعض ، دون نظرة الى الرواية أو حكاية ما صح من الروايات المتخبر بها خبرا متواترا مادام متبررا بما رواه ما تيسر اليه الكتابية التوراتية

وعلى ذلك يستقيم تفسير الآية ، وتكون غير دالة
على أن عيسى عليه السلام سينزل قبل قيام الساعة وإن أهل
الكتابر سيؤمنون جميعا به في ذلك الوقت كما أنها تكون
غير دالة أيضا على ما بقوله بعض المفسرين من أن كل أحد
من أهل الكتاب لا يموت حتى يؤمن بعيسى عند خروج
روحه ولهم في ذلك تأويلات وتفسيرات ، ألجأهم إليها روايات
لا صلة فيها وبين مدلول الآية ، وكان عليهم أن ينظروا إلى
الآية نظرة خاصة ، ثم ينظروا نظرة أخرى إلى مثل الروايات .
فما كان ، 'موضوعا' فيه . وما كان منها صحيحا أقروا به
وعينوا له موقعا خاصا يذكر فيه بدون أن يجبروا الآية
على أن تتمصل به أو يجبروه على أن تتمصل للآية

وذلك قوله تعالى : رتبه نسا ساجدات وأقمينا على
كرسيه جسدائهم أنب دفعه ثم داني ثم يبرك في الآية
بالآية تنق من القس ولا معنى في الآية مع الآية
في ذاتها من حيثة إلى الاستقراء في رواية راجعة إلى
سنة ١٠٠٠ هـ . والله أعلم بالصواب .

الذى جعله على كرسية جسداً لا حراك به ، شأن المريض
إذا تمكن منه المرض وانتقد به الألم ، ثم أتاب ورجع الى
صحته وشفى من مرضه

وأين هذا مما قالوه . ن أن الله فتن سليمان والتقى على
كرسيه الذى كان يجلس عليه للحكم ، وإدارة شؤون الملك ،
شيطانا يتحكم في سليمان وفي بيته وفي ملكه جزء له على معصية
ذكروها في روايتهم . ويأتى العلم أن يقرب سبالان فيها
نسبة ما لا يليق الى رسول اصطفاه الله واستاراه من خلقه ،
واكن ما الحيلة في يوم يرون أن ما يرويه حمة ههنا الكتاب
مقدم على ما يدين به المسلمون جميعا من نصرة رسول الله
وفيما ذكروه في داود ويوسف وإبراهيم ما يكفى بحكم
أن الآدم قد شغلوا الأسرانيات في درجة جعلتهم بهتهم
عما اجمع ذلها المسلمون من نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله
عليهم أجمعين .

ولولا الخس على ذكر الأخبار الأسرية
القرآن دلالة أو شبه دلالة أو سر دلالة أو سر

الذي وقفه القرآن ، وتركوا الكلام فيه كما تركه
القرآن ، لما حشوا تفسير كتاب الله - الا يصح في العقل ،
ولا يقبل في العقل . ولما خلت موسى المسلمين من الاعتبار
والازدجار ، وخوف الله ، وما الى ذلك من الملكات النفسية
التي أراد الله ان تترك في قلوبهم تلاوتهم تلك الايات
وتأمل ما جاء فيها ، كان غلبتهم الايمان - الا انهم
ما يريدون القرآن فكانت موضع تأملهم ، وعمل اشتغالهم ،
دون اجلاء به الوحى ، واحسن كتب الله

في القرآن آيات تلهي قلوبهم

وقصص وعلماء ، وتواريخ

منها ما يشغل قلوبهم

منها ما لا ينس

منها ما لا ينس

منها ما لا ينس

منها ما لا ينس

منها ما لا ينس

[illegible]

القرآن والوعد والوعيد

في القرآن آيات تتعلق بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب ، وقد استوفى القرآن الكلام في هذا القسم استيفاء بالغ النهاية وأرشد على الغاية ، على حين أنه يأتي في كل موضع بما ينطبق على قوانين الوعد ، وما تؤيده قواعد علم النفس ، يتآخى مع العلم ، ويتطابق مع مقتضيات الفطرة . وهل بعد وعظ إلا أنه يحتاج النفوس إلى وعظ ، وهو الذي يعلم خائفة الأعين وما تحفى الصدور ، يريد أن متأخري المفسرين صفا الله عنهم ، رأوا أن ما ذكره القرآن يحتاج إلى تميم وتكميل ، فكم لهم بالاسرائيليات وزادوا عليها نقل آثارها بها المتصوفون ومن كان على أيديهم فناء الملوك الإسلامية ، وتبديل الأخلاق الحميدة ، فجاءت تفاسيرهم مملوءة بما لا يتفق مع العقل وصحيح النقل . على حين أنها قد شغلت نفوس المسلمين عن النظر في أغراض القرآن ومقاصده ، فضلا عما جاء فيها من المباحث التي تتعاقب بجواز خلف الوعد ، وبأن يكون ما ورد في القرآن في باب الوعد لا يقصد به إلا أخبار عن مآل

الصلاة والمخالفين في النار الآخرة ، وإنما يقصد به التعريف
والرجوع ، فهدموا بذلك باب الوعيد ، وقسم التوبيخ ،
وأصاعوا أهم قسم أراد به القرآن تهذيب النفوس ، وإصلاح
حال البشر ، حيث أفهموا المسلمين أن وعيد الله يجوز أن
يشغل ، وإن ما ورد في القرآن بهذا الشأن لا يراد به ظاهره ،
بل يراد به زجر النفوس وتخويفها بحسب ، بل يجوز وأفوق
ذلك أن يدخل الله المؤمنين النار ، والكافرين الجنة ، ذكروا
ذلك في تفسير كتاب الله فجعلوا على الالفاظ وعلى المعاني ،
وانحل بأيديهم ما عقده القرآن في الوعد والوعيد ، وربما
كان لهذا الصنيع تأثير غير قليل فيما يشاهد
اليوم من انصراف المسلمين عن ملاحظة وعيد الله في
اتيانهم المعاصي وعدم استشعارهم هيئته حين اقتراف
المنكرات ، مع مبالغة القرآن في الوعد ، واستيفائه هذا
الباب إنما استيفاء ، وأى معنى للخوف ما دام الوعيد لا
يراد به ظاهره ؟! وأى داع الى تذكر الحساب والعقاب
مادامت صلاة ركعتين أو ركعات ، أو اعتقاد في ولي ، أو

ثلاثة دعاء ، أو تلفظ بحزب ، أو قراءه لورد ، تضمن
دخول الجنة ، والتمتع بما أعد الله فيها للمؤمنين .

احتل نظام الوعد والوعيد لدى المسلمين من اليوم
الذي تركوا فيه الاعتبار بما ورد في القرآن ، وقصروا
اعتبارهم على تأويلات المتكلمين ، ومبتدعات المتصوفة .
والمتكلمون يجوزون خلف الوعد ، ويجوزون كذلك عقلا
أن يدخل الله المؤمنين النار ، ويدخل الكافرين الجنة ،
ولا شك أن هذين التأويلين يتناقضان مع صريح القرآن كل
التناقض ، والله وفة تركوا مسألة الجواز جانبا ، وشرعوا
يضعون للناس مبتدعات جديدة ، وقواعد مستحدثة ،
يقررون فيها أعظم ثواب لا صغر عمل مبتدع ، كما يقررون
أكبر عقوبة لا حقر ذنب مبتدع ، جعلوا الجنة وقتنا على
ما وضعوه من عبادات ، وأوراد ، ومعتقدات ، وآداب
للسلوك ، ورووا في ذلك أحاديث موضوعة ، وآثار مخترعة ،
وجعلوا النار كذلك وقتنا على من اعترض عليهم ، أو علف

معتقدهم ، أو تنسكب طريقهم ، ورووا في ذلك من
 موضوعات الحديث ، ومفريات النقل ، مالا يجرؤ عليه
 مسلم يقرأ كتاب الله وسنة رسوله . ولو أن المفسرين
 تركوا هؤلاء القوم وشأنهم وأبوا أن ينقلوا في تفسير
 كتاب الله ما افتروه من الاحاديث ، وابتدعوه من المعتقدات
 والاعمال ، لظل قسم الوعد والوعيد بمنجاة من التشويه ،
 ولكان للمسلمين منه منعة عظيمة وذكريات ، بيد أن الامم جاءت
 أن يخنق من هذا القسم بالجملة التهمة ، كما ينضج نبره
 امتدادات الفرية ، يات أهل الكتاب حتى أصبح
 المسلمون اليوم في أشد الحاجة إلى من يصلح لهم نقل
 التعاليم رأس الترية ، فترى أهل هذه المذاهب الإسلامية ،
 وأصبحت من هذه المذاهب الإسلامية ، والمعتقدات ، ومنظمة
 بمباحث الفرية ، والاعتقادات ، يمار المسلمون اليوم
 أن ياتوا من هذه المذاهب الإسلامية ، فترى أهل هذه
 كتاب الله ، فترى أهل هذه المذاهب الإسلامية ، فترى
 في هذه المذاهب الإسلامية ، فترى أهل هذه المذاهب الإسلامية ، فترى

المسامحة بامر النقل ، وحرصهم على تحرير المروى ، وتمييز
غثه من ثمينه ، وصحاحه من باطله ولا هم - ردوا معاني
التأويل ، مع أن القرآن نزل بالنسبة ان عربي مبين ، ولا هم
تركوا البحث فيه لتحرد في موضعه من مسائل العلوم والفنون
ال جعلوا تفسير كتاب الله بوقايه كل انسان أن
ينقل اليه ما يشاء من صنوف البضائيه . فنقلوا فيه النحوي
كله ، والصرف جميعه ، وعلوم البيان بأسرها ، وعلم الكلام
براهينه ، وأسرار النطقه وعلوم الفقه

أما خرافات أهل الكتب ، وحقالاتهم ، وخرافاتهم
فانتركوا عنها ااردة لا واردة الا ذكر واداني تفسير كتاب
الله . كما أنهم لم يكتبوا بذلك فذكروا تأويلات الباطنية
واعلاناتهم . رتبة كتاب ذلك الذي ابور في زعمه
والا لرب من كتب كتابه في ان يبرهن ان كتاب
الله انما هو كتاب من اهل البيت في اهل البيت من اهل البيت
بما هو عليه من الحق . وانه هو الذي هو عليه . اورد في
بعض النسخ ان الله في اهل البيت من اهل البيت من اهل البيت

من التحرير ، ومن التبويب ، ومن التدايل ، ومن الارتباط
بمخالع الناس الدينية والدينية . معارف كانت علة مصائب
المسلمين ، ومبعت انتشار الجود والارتباك في نفوسهم
ومدركاتهم ، ولوانها ذكرت في سير التفسير لما أعاها الناس
في هذا الاستقام ، ولكن صروف الدهر نكبت بها
المسلمين فلا وأبها تفاهيرهم ، ووكلوا إليها اصلاح معاشهم
ومعادهم ، فم لهم حتى يفسها ما هم عليه اليوم من استيلاء
الاجنبي على جميع بلادهم ، واقتدارهم اليه في جميع شؤونهم
وأى مصيبة هي شر من تلك المصيبة ؛ وأى داهية هي اقبح
من تلك الداهية ؛ وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ؛
وأى امة اصاعت كتابها كنك الامة التي يرى علماءها
ان في تفسير الآية الواضحة عشرة أقوال فاكتر ، كلها
متضاربة متخاذلة ؛ فهل يتصور العقل البشري ان ما نزل
بلسان عربي مبين يؤل امره الى ان يكون في واضح بيانه
ومحكم لفظه ، مجالا لذكر أقوال متناقضة وآراء متخاذلة ؛
على المسلمين اليوم اذا ارادوا ان يعيدوا مجدهم السالف

وعزهم الناس ، أن يتخلوا عن تلك التفسير جملة ، وأن
يجرروا معارفهم الدينية ، وأن يرجعوها الى كتاب الله ، وإلى
ماصح من سنة رسوله ، وأن يبدلوا ما عدا الكتاب
والسنة ، وأن يقتصروا في آيات الاحكام على ماصح نقله عن
الائمة المجتهدين ، أما ما عدا آيات الاحكام فلا يؤخذ الا من
الكتاب والسنة ، على ذلك مضى السلف ، وإلى ذلك يشير
الرسول في قوله (تركت فيكم ما إن نسكتكم به لن تضلوا
بعدي : كتاب الله ، وسنة رسوله)



المعارف الاسلامية

أصول المعارف الاسلامية هي الكتاب والسنة والاجماع
والقياس . وقد رجع المحققون من علماء اصول الفقه الاجماع
والقياس الى الاصلين الاولين لان الاجماع لا بدله من مستند
منهما ، لأن القياس لا يكون الا بعد ثبوت حكم الاصل
بالكتاب أو السنة ، فاليها يرجع الامر كله في أمر المعارف
الاسلامية ، على ذلك درج السلف وعلى ذلك مضى المتأخرون

الاولون . وقد قال صلى الله عليه وسلم (تركت فيكم ما لان
تسكنم به لن تضلوا من بعدى : كتاب الله وسنة رسوله)
وقد كمل الدين قبل موت الرسول ونمت المعارف
الاسلامية بنزول قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم واهممت
عليكم نعمتي » رضيت لكم الاسلام ديناً ،

هـ كلت الشريعة الإسلامية إلى الامام الاعظم صيانة
المبادئ الإسلامية وحمايتها عمليا من الزيادة والتميزان. فكان
أبو بكر يعاقب المتبعين وينهري في الثقات من روى
عن ادب الشريعة. ثم عمر بن الخطاب الذي كان يدين
كل من لا يعرف المبادئ الإسلامية وكان له
دور في انقاذها من الفساد والكفاية.

[illegible]

ومن تلك الفروض مراقبة الامر بصيانة المعارف
 الاسلامية، فكان الخليفة مع العلماء يتولون تنفيذ ذلك الفرض
 ويقومون بصيانتها، وكانت الامة تراقبهم في التنفيذ وتشرف
 عليهم وقت العمل. من أجل ذلك حفظت المعارف الاسلامية
 في الصدر الاول وسكنت أتم صيانة، اهيك بأمر يتولى
 الامام الاكظم عليه السلام، ويتولى العلماء على سوامته، وتشرف
 الامة على الوفاء به. فإذ الحكومة تريد أن تكون مع العلماء
 يريدون البأر لا يراهم لا يسهل دقة في ذلك
 كانت في ذلك الوقت من رعايته الله - تعالى - في
 الاخير راعاه في ما ليس في يد رعايته في
 رعايته في ما ليس في يد رعايته في ما ليس في يد رعايته في
 رعايته في ما ليس في يد رعايته في ما ليس في يد رعايته في
 رعايته في ما ليس في يد رعايته في ما ليس في يد رعايته في
 رعايته في ما ليس في يد رعايته في ما ليس في يد رعايته في
 رعايته في ما ليس في يد رعايته في ما ليس في يد رعايته في

الى آراء الرجال ومبتدعات الفرق، والنفوس لم تكلف بأن
تؤمن بغير ما أنزل الله من تأويلات الفرق وتحرقات أهل
الكلام، وإن تعمل غير ما ورد به الكتاب والسنة من مبتدعات
المتصوفة ومخترعات أهل الطرق

اختل أمر السوف الإسلامية يوم انفصلت رتبة
الخلافة، تنة المذكور يوم أصبح الأمر والنهي في المفايف
من أهل الشككة في البعاش وأقلية، أ. نظام
البرائة، من الأرض، من الأرض، من الأرض
مهمزة، من الأرض، من الأرض، من الأرض
بالأمر، من الأرض، من الأرض، من الأرض

من الأرض، من الأرض، من الأرض، من الأرض
من الأرض، من الأرض، من الأرض، من الأرض
من الأرض، من الأرض، من الأرض، من الأرض

تلك المعارف، وصادف في ذلك الوقت أن تقام امر البدع
 واشتدت شوكة بعض الطوائف المارقة فاشتغل العلماء
 بمجادلتهم، فانشأت رءوس وحدت مذاهب، واغتنم
 الوصاعون من أعداء الاسلام تلك الفرصة فوهوا من
 الاحاديث الباطنية على أسس الاسلام وقواعده، فدخلوا أيضا
 قسما من المبررات التي كانت لهم ككتاب لا يجوز الاذان
 كان من رءوس الباطنية في دارف الوقت، فاستعملوا
 ما أمروا به من فتن الساعات، وذكروا كلام
 رءوس الباطنية في كتابهم الذي لا يراه في ذلك
 الزمان، فنفذوا به في العالم، فصاروا يذكرون
 الباطنية في كل زمان ومكان، فصاروا يذكرون
 في

قد اختلف اختلا لا تناول الوحدة السياسية والوحدة الاخلاقية
والوحدة الاسلامية. ولا ريب أن تمزق تلك الوحدات يؤدي
لا محالة الى تمزيق وحدة المعارف الاسلامية. من أجل ذلك
اختلف نظام تلك المعارف اختلا لا ظهر أثره فيها بعد ظهورها
لا يزال ين من المسلمين الى اليوم

[illegible]

وَقَدْ كَرِهَ اللَّهُ نِيَّ مَنْ كَفَرَ فَسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ
مِنْ حَمْدِ اللَّهِ وَبِأَعْيُنِنَا رَوْحُ الْمَلَائِكَةِ
الْأُولَى قُلْ هِيَ الْآيَةُ الْكَلَامِ أَنْ تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ
يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ الْكِتَابِ أَنْ تُخَالِفُوا

ورد عادة الخصوم... إذا فهي سلاح يتغير تبعاً لتغير
المهاجرين، ويتبدل لتبدل الطاعنين. أما العقائد فهي ثابتة
لا تتغير ولا تؤخذ من علم الكلام، ولا يقبل فيها رأى أهله

ومن هنا ينبغي للامة الإسلامية أن تنبذ من علم
الكلام ما لا حاجة تدعو اليه اليوم، وتعمل لإيجاد طرق
جديدة تستطيع بها مناصرة الخصوم الجدد من الملحدين
والمبشرين ورجال السياسة، فإن علم الكلام عندهم متنوعه
المعالم من حيث هو، ولا زبني أنه يتناول تلك المواضيع
التي أصبحت مطاعن يوجهها الخصوم للإسلام بآراء

رئيس الغريب أن الترتيب عنيفة بالرد على "كتاب
ولا حمل الكتاب عنيفة لا تقف عنه، بل بالاطمئنان إلى أصول
الإسلامية، حين أن الكفر دأب من الكفر، في يعبروا
تلك الأراضي التي أهمية، بل لا تتنزل بالحق بالاحتياط
والاعتناء، بمبارزة الطاعنين من أمثال هؤلاء، أهل
الجماعة جهلاً، وتركوا الرد عليهم يدور

فهمه ورائي علم الكفر كما أنه لا يقيم عليه، بل لا يقيم

فلك المسئلة موضع أخذ ورد وانتقاد وطمع بين خصوم أهل
 الملّة، فعلى المجتهدين، لعلم الكلام أن يجعلوها موضع اهتمامهم
 ومحل عنايتهم فيبحثوها على حسب ما تمضى به الاعتراضات
 الحديثة لأعلى حسب ما قضت به الاعتراضات القديمة

يجب أن يكون علم الكلام دفاعياً فحسب فلا يلزم
 الله به أن يعتقدوا ما اقرروا فيه منها عظمت منزلته حسب
 التول ونبأته المبدلي بالرأى لأن الله أتد الاسلامية يجب أن
 تؤيد من الكتاب ومن السنة والجماعة والبرهان كما كان
 في السابق من أن لا ينفك عن العلم

والله اعلم بالصواب وأن تميز آراءه وتصرفاته العلية
 وتكون من كتاب الله تعالى وتكون من سنة رسوله
 صلى الله عليه وآله وسلم وتكون من إجماع أئمة الهدى
 عليهم السلام وتكون من برهان العقل والبرهان

والله اعلم بالصواب وأن تميز آراءه وتصرفاته العلية
 وتكون من كتاب الله تعالى وتكون من سنة رسوله
 صلى الله عليه وآله وسلم وتكون من إجماع أئمة الهدى
 عليهم السلام وتكون من برهان العقل والبرهان

وفسد نظام التأليف ولا فإن ما تقر في باب الاجتهاد من
علم أصول الفقه يقضى بأن لا يذكر في المذهب لا القول
الذي يؤيده الدليل وبصح ذمته الى الامام من ملاحظة أن
الائمة قد رحوا بأنهم مع الحديث فهو مذموم وذلك
بما أن تضبط الامام في الامامة في المسائل الدالة

ان تم تجديد الامامة بغيره في يوم
وقد انه أراسا في الامامة في يوم
ولا ما كان في الامامة في يوم
في يوم في الامامة في يوم
اليوم من التشريع في الامامة في يوم

في الامامة في يوم في يوم في يوم
في الامامة في يوم في يوم في يوم
في الامامة في يوم في يوم في يوم
في الامامة في يوم في يوم في يوم
في الامامة في يوم في يوم في يوم
في الامامة في يوم في يوم في يوم

عبارات المصنفين ومقاصد المؤلفين، وأن وصل العالم منهم إلى
إلى تلك الدرجة فقد أصبح في نظر نفسه ونظر الهيئات العلمية
قائما بوراثته النبوة حاميا حتى الشريعة مبلغا شريعة الله إلى
خلقه فأى قوة تتحول هذا الاتجاه بعد أن كرت عليه
القرنين مضت عليه المصود حتى أصبح عادة دراسة سنة
متبعة أو أى رجاء في قوم هذا شأنهم أو أى أمل يرجى منهم
وقد مررنا على سلوك هذا السبيل، واتباع ذلك المذهب
حينئذ المأكولات التى تدير البلاد الإسلامية نواهم غير
قائمين بعض يرتبط بمصالح الأمم، ومن الغريب أنهم
يطالبوا المأكولات يوم من الأيام أن نجس عليهم الذين
في مائة أمر أجاريا وإيماءاتهم منهم ساعة من نهار
الإشراف على أيام الدين في مدارس الحكومة

ترياق الأمر "الترتيب" في ركائز الإسلام

الإسلام في البلاد المحترمة و نظام التعليم في بلاد
الدين في بلاد المحترمة و نظام التعليم في بلاد
الدين في بلاد المحترمة و نظام التعليم في بلاد

معالم اللثة وقادية الفرائض المطلوبة وترك المهرمات المنية
ولا هم تولوا أمر التعليم الدينى فى مدارس الحكومة، ولا هم
أصلحوا شأن المعارف الاسلاميه فى معاهدهم بل رضوا
بان يكونوا قومًا قتييخ. لا غرض لهم من وراء التعلم والتعليم
سوى كسب كلام المؤلفين ومن أغراض المصنفين وروح
ضمائر الكتّابين صناعة غايتها نفسها، موزع عليها البحث فى
عبارات المؤلفين، وغايتها فهم تلك العبارات،

[illegible]

وأوروبا وأفريقيا وجزر المحيط الهندي ولهم في أكثر ذلك
الغلبة الساحقة، والممالك المتجارفة

فما الذي قد بهم عن مناجزة الأمم رتبة الزرين
وهكافة المطلوب ومنازة السلوانة بربهم
نكرت في دونهن موز في كل مزاحمة على حيد أنهم كانوا
هم السائقين مع قلة دهم رتبة رتبة
مما كان لهم قهرا لا رلوا إلى الله
موم رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة
سما رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة
مما كان لهم قهرا لا رلوا إلى الله

انظر إلى رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة
مما كان لهم قهرا لا رلوا إلى الله
موم رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة
سما رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة
مما كان لهم قهرا لا رلوا إلى الله
موم رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة
سما رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة رتبة
مما كان لهم قهرا لا رلوا إلى الله

علماء السلف وعلماء الخلف

كان العلماء في صدر الملة هم أرباب الفقه في الدين فكان
ييدهم الحكم والافتاء وبيان العقائد ودفع الشبه عنها
ونشر العلم ووضع المؤلفات التي تيسر اليها حاجة الشعب
فسدوا حاجة تعليلها لامة وشهدوا مركزاً لاغني للشعوب
عنه انظر الى الخلفاء الراشدين وهم يحثون من العلماء
حينما تنزل نازلة أو تحدث مشكلة بموقف حلها على الحكم
أو الافتاء أو البيان والارشاد ثم انظر الى حاجة الامة الى
علماء التابعين والى موقف هؤلاء العلماء من الامة وتدريبهم
لهذا الموقف واعدادهم نفوسهم للتقيام باعبائه وبفهم النصيح
له ولله وله ولعلمة المسلمين وخاصة بهم ثم انظر بعده ذلك
الى مكانة أبي حنيفة ومالك وابن أبي ليلى وسفيان والى
مرتبة الشافعي وابن حنبل وابن جرير ودาวود
الطاهري وأبي يوسف ومحمد وابن القاسم واشهب
وسائر علماء هذا العصر انظر الى تلك المكانات والمراتب
والى تقدير اصحابها وتقدير الامة لاصحابها فنعوا الامة

وتقوموا الدولة وانتمت بهم الامة والدولة. ومن أراد منهم
اعزال الناس ولزوم يتنهه رة الجماهير على ترك العزلة لشعورها
بالحاجة اليه وطرقت عليه بابه لعدم استغنائها عنه
احتاجت اليهم الحكومة في القضاء والافتاء واحتاجت
اليهم الامة في الهداية والارشاد واحتاجت اليهم الافراد
للاستفادة والانتفاع فكانوا روح الجماهير في عصرهم ولا في
للناس مما به قوام الحياة، وهو الروح

تخلف من بعدهم خلف غفلوا عن تقدير موقعهم
من الامة وتناسوا حاجة الجماهير اليهم فشتغلوا بقوسهم
بالبعث فيما لا حاجة للجماهير به لانه خارج عن متناول
فروع الحياة لديهم

اشتغل فريق بالتصوف والعزلة وفريق آخر بالدقائق
والرقائق (كما يقولون) والجماهير لا يهمها كل ما يتعلق بالمباحث
الخامسة بتلك الدقائق والرقائق واشتغل فريق باختصار
العلوم في عبارات ضيقة محتاج الى شرح وبيان فأدى ذلك
الى اشتغال فريق آخر بوضع شروح على تلك العبارات

الضيق وجاءت تلك الشروح غير وافية فانه مثل فريق آخر
 بوضع تعاليق عليها لتتيمم النقص، وهكذا دواليك: نقص
 يحتاج الى اكمال، واختصار يفتقر الى شرح وبيان، الى أن
 يطول الشرح لكثرة الحواشي والتعاليق فيحتاج
 إلى مرة أخرى الى الاختصار ثم الاختصار يحتاج
 الى بيان، وهكذا ينتهي البيان باختصار، ينتهي الاختصار
 ببيان، فلا الشرح وقف عند حد معين ولا الاختصار لزوم
 تحوما محدودا. وأضحت عملية الاختصار والشرح في الشغل
 للشاغل لهذا الفريق، وفي أمثلة هذا التوزيع والتقسيم
 تنسى العلماء مركزهم في الامة بحاجة الى العلم وصداق
 يتطلب ارجاعهم الى مكانهم السانقة وهم لا يهتدون
 حتى ألباسها يطروفا الى الاستغناء عنهم من فروع
 الحياة التي كانوا مرجعها اليهم. فمثل هؤلاء العلماء هم
 السببون وعلى أي تقدير غنمته في ذلك، تنفذ الالة
 من الاهتداء والعمل بكثير من الكلام في الحياة
 ثم الجزء الاوّل وبقيّة الكلام

فهرست

نمرة الصحيفة	الموضوع
٤	النَهْضَةُ الْأَسْلَامِيَّةُ الْحَاضِرَةُ
٢٧	الْأَخُوَّةُ الْأَسْلَامِيَّةُ
٤٥	أَحْيَاءُ الْإِهْتِدَاءِ بِكِتَابِ اللَّهِ
٥٦	الْقُرْآنُ وَالْأَخْلَاقُ
٦٣	الْقُرْآنُ وَالْقَصَصُ
٦٩	فَهْمُ الْقُرْآنِ
٧١	لِاجْهَادِ وَالْقُرْآنِ
٨٠	قُوَّةُ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ
٨٤	الْقُرْآنُ وَالْمَعَارِفُ الْوَضْعِيَّةُ
٩٥	الْقُرْآنُ وَسُنَنُ الْوُجُودِ
١٠١	الْقُرْآنُ وَالرَّوَايَاتُ الْأَسْرَائِيلِيَّةُ
١٠٨	الْقُرْآنُ وَالْأَدَارُ الْآخِرَةُ
١١٧	الْمَعَارِفُ الْأَسْلَامِيَّةُ
١٩٢	عُلَمَاءُ السَّلَفِ وَعُلَمَاءُ الْحَقِيقَةِ

